جامعة مولاي إسماعيل
UNIVERSITÉ MOULAY ISMAÏL

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
FACULTÉ DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES

شعبة
الدراسات الإسلامية

وحدة علوم القرآن 04

الفصل الثاني

د: عبد العزيز ديدي

الموسم الجامعي
1442-1441هـ/ 2021-2020م

تقديم.

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصبحه أجمعين وعلى كل من اقتفى أثرهم واستن بسنتهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد تعددت وجوه عناية العلماء قديما وحديثا بهذا القرآن الكريم، ولا أدل على ذلك حجم تلك العلوم التي تسبح في فلك هديه ومنهاجه بيانا للمراد من كلام رب العالمين، وقد خط العلماء بهذه العلوم المتعددة للأمة منهجا قويما للتعامل مع كتاب الله تعالى الذي هو دستور البشرية وروح الأمة، والغاية حفظ معانيه الجليلة في الخلق من كل تحريف أو تبديل يُخرجها عن المراد الإلهي من هذا التنزيل، فكانت – تلك العلوم – على الدوام مفاتيح لخزائن هذا الكتاب وذخائره التي لا تنقضي على مر الزمان، والتي لا يتصور فهم صحيح للتنزيل بغير حيازتها والتمكن منها.

لقد ترجمت هذه العلوم المتعلقة بكتاب الله عز وجل موضوعا ومنهجا بعض وجوه إعجاز هذا الكتاب؛ سواء تلك الظاهرة الجلية، أو تلك التي لا تنكشف إلا بعد سبر أغوار تلك العلوم والوقوف على كثير من دقائقها ولطائفها في هذا الباب.

وسنحاول في هذه الورقات - بحول الله تعالى - الوقوف على بعض من تلك العلوم التي تجسد عناية العلماء الجليلة بكل ما يخدم النص القرآني، ويحفظ في الأمة معانيه الأصيلة، تيسيرا للتعامل مع كتاب الله تعالى بيانا وتفسيرا وفقها لتلك المعاني التي لا تستغني عنها الأمة طرفة عين ولا أقل من ذلك؛ ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُوراً فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[1].

1 - النور:39.

المحكم والمتشابه

تمهيد

اقتضت حكمة الله جل جلاله أن يكون هذا الكتاب المنزل مُحكم الآيات، بحيث **"لاَّ يَاتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "[1]**، فلا ينسب إليه خلل أو خطأ أو تناقض بين آياته، كما اقتضت حكمة المولى سبحانه وتعالى أن يكون هذا القرآن على درجة واحدة من هذا الإحكام في آياته متشابها في هذه الخصيصة العظيمة لا فرق في ذلك بين آية وأختها، وبذلك تتشابه آيُ القرآن جميعُها في هذا الإحكام وهو مراد العلماء من كون هذا الكتاب محكما كله متشابها كله.

غير أن المتأمل في آيات كتاب الله تعالى يجدها متفاوتة الدرجات من حيث دلالتها على المعنى المراد، فتارة يكون المعنى ظاهرا جليا لا يحتمل اللفظ غيرَه، وتارة تعتريه بعض وجوه الخفاء سواء من جهة ألفاظه المفردة أو المركبة، وتارة تهتدي العلماء إلى إزالة اللبس الوارد على معنى الآية اجتهادا، وتارة تقف عقولهم عاجزة أحيانا عن التحقق بمعرفة بعض المعاني خاصة تلك التي استأثر الله تعالى بعلمها، وبين هذه الأفلاك يسبح مبحث المحكم والمتشابه وما يتعلق به من الوجوه.

أولا – الإحكام العام والتشابه العام في القرآن الكريم.

1- مفهوم الإحكام العام في القرآن الكريم.

1-1 الإحكام لغة.

يَرِد الإحكام في اللغة بمعنى الوثاق والمنع، قال ابن منظور: " أحكمتُ الشيء فاستحكَم: صار مُحكَما، واحتكم الأمر واستحكم وَثُق (...) وحَكَم الشيء وأحكمه كلاهما: منعه من الفساد (...) ومنها حَكَمةُ الدابة، سُميت بهذا المعنى لأنها تمنع الدابة من كثير من الجهل"[2].

1 - فصلت: 41

2 - لسان العرب، فصل الحاء المهملة، مادة "حكم": 140/12.

2-1- معنى الإحكام العام للقرآن في الاصطلاح.

يوصف القرآن بأنه مُحكم كله، والمقصود من ذلك "أن القرآن الكريم مُحكم النظم متين البناء لا خلل فيه ولا خطأ ولا تناقض، لا من جهة لفظه ولا معناه، وهذا الوصف يعم آي القرآن جميعها، فكان بهذا المعنى محكما كله" ولهذا وصف الله تعالى كتابه بهذا الوصف العظيم فقال سبحانه:" كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ "[1]، ولما كان محكما؛ لم يتطرق إليه الاختلاف ولا التناقض لأنه من عند الله؛ " وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ إِخْتِلَٰفاً كَثِيراً "[2]. فالإحكام العام وصف ينطبق على كل آيات القرآن من جهة ألفاظه ومعانيه، من حيث ما فيها من كمال الإتقان وجمال النظم وروعة البيان... وهو وجه من وجوه الإعجاز العظيمة في هذا الكتاب.

2- مفهوم التشابه العام في القرآن الكريم.

كما وُصف القرآن بالإحكام العام فقد وُصف كذلك بالتشابه العام.

2-1 – التشابه لغة:

ترجع دلالة التشابه لغة إلى معنى المقابلة والمشاكلة الدالة على الاشتراك في الأوصاف إلى درجة الخفاء والالتباس أحيانا، يقول ابن منظور :" الشِّبْه والشَّبَه والشبيه: المِثْل والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ إذا ماثله (...) واشتبه علي الشيئان وتشابها؛ أشبه كل واحد منهما صاحبه، والمشتبهات من الأمور: المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات".[3]

2-2. معنى التشابه العام في القرآن الكريم.

المقصود بالتشابه العام في القرآن الكريم؛ " أن آياته تتشابه في طبيعة خواصها، من جهة الإحكام بمعناه العام، ومن جهة الإعجاز وحسن الانتظام... فهي في هذه الخواص متشابهة بحيث لا تفضل آية أختها في هذا، فكل آيات القرآن متشابهة في تلك الأوصاف التي جعلت القرآن كتابا معجزا. وقد مدح الله تعالى كتابه بهذا الوصف، وصف التشابه العام فقال:" ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ

1 -هود:01.
2 - النساء:81
3 - لسان العرب، فصل الشين المعجمة، مادة "شبه":504/13.

كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ "[1]. فتشابه الآيات في إحكامها ونظمها وبلاغتها وبيانها وإعجازها هو المقصود بالتشابه العام في القرآن.

ثانيا- الإحكام الخاص والتشابه الخاص عند العلماء.

إذا كان الحق سبحانه قد وصف كتابه بكونه محكما كله، ومتشابها كله، فقد ورد في القرآن كذلك ما يدل على أن بعض آيات هذا الكتاب وردت محكمة وهي الأصل الغالب، والبعض الآخر منها ورد متشابها، لكننا نتحدث ههنا على مستوى أخصَّ من الإحكام والتشابه، وهو ما يسمى **"بالإحكام الخاص والتشابه الخص"** ولذلك يتفق جمهور العلماء على أن القرآن محكم كله ومتشابه كله وهو مستوى الإحكام والتشابه العام، كما اتفقوا على أن منه آيات محكمات واضحة في معناه، و فيه أيضا آيات أخرى متشابهات يخفى معناها والمراد منها[2]، وهو مستوى الإحكام والتشابه الخاص الذي سنبين المقصود به.

1- مفهوما المحكم والمتشابه عند العلماء.

اختلف العلماء في تحديد معنى كل من المحكم الخاص والمتشابه الخاص على اصطلاحات كثيرة منها:

-الأول- أن المحكم ما عُرف معناه والمراد منه، والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه وخفي معناه على العباد؛ كالحروف المقطعة وصفات الله وقيام الساعة....

-الثاني – أن المحكم ما لا يحتمل إلا وجها واحدا، والمتشابه ما احتمل أكثر من وجه، وهو رأي ابن عباس، وعليه دأب جمهور الأصوليين.

-الثالث- أن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى غيره ليبينه، والمتشابه ما لا يستقل في الدلالة على معناه بنفسه، ويحتاج ضرورة أن يُرد إلى غيره ليتبين معناه، وهذا القول يحكى عن الإمام احمد.

-الرابع - أن المحكم هو الواضح المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال، وينتظِم المحكمُ بهذا المعنى ما كان نصا وما كان ظاهرا، والجامع بينهما يسمى مُحكما؛ لأن اللفظ إذا لم يحتمل إلا معنى

1 - الزمر: 23.

2 - ذكر الإمام الزركشي في البرهان مذاهب العلماء في المسألة، وأن هذا هو الرأي الراجح، البرهان في علوم القرآن:68/2.

واحدا سمي نصا، وإذا احتمل غيره سمي ظاهرا، وقد نسبه السيوطي إلى الطيبي، ونسبه غيره إلى بعض المتأخرين، أما المتشابه فما كان غير واضح المعنى، كما أن الإشكال يتطرق إليه من جهة دلالة اللفظ على معنى آخر مساو وهو المجمل، أو غير مساو وهو المُؤول، فالمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه.

-الخامس - أن المحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر، وأما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة؛ وهو المؤول والمجمل والمشكل؛ وهذا الاصطلاح اختاره الإمام الرازي وبعض المحققين.

وعليه فالمحكم يشمل النص والظاهر؛ فإذا كان اللفظ موضوعا لمعنى لا يحتمل غيره سمي نصا، وإذا احتمل غيره وكان احتماله لأحد المعاني راجحا وللآخر مرجوحا سمي ظاهرا، ودوران اللفظ بين النص والظاهر يجعله محكما، فتعلقه يكون دائما بالمعنى الراجح إن في النص أصالة أو في الظاهر تبعا. أما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة؛ فإذا صُرف إلى معنى مرجوح سمي مُؤولا، وإذا استوت معانيه سمي مشتركا، وبالنسبة لصرفه إلى أحد المعاني على التعيين سمي مجملا[1].

وأنت ترى تداخلا كبيرا بين هذه التعريفات إلى حد التشابه الكبير بين بعضها، وكل من اطمأن إلى واحد منها رجحه واعتمده في تعيين المحكم والمتشابه، لكن يمكن اعتماد تعريف للمحكم والمتشابه **ذكره الراغب الأصفهاني في المفردات، قال:" فالمحكم: ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى"[2] (...) والْمُتَشَابِهُ من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إمّا من حيث اللّفظ، أو من حيث المعنى"[3]**.

2- بعض أمثلة المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

أ- أمثلة المحكم في القرآن الكريم.

-الآيات التي جاءت ناسخة: مثل آية الاعتداد بأربعة أشهر وعشرا التي نسخت الاعتداد بالحول بالنسبة للمرأة المتوفى عنها زوجها.

1 - عرض لهذه الوجوه الشيخ عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان:424-425.
2 - المفردات في غريب القرآن:251
3 - المفردات في غريب القرآن:443.

- أو الآيات التي تحدثت عن الحلال والحرام: كإباحة البيع وتحريم الربا، وإباحة الطيبات وتحريم النجاسات كالميتة والخمر...

- أو آيات الحدود كالآيات التي نصت على حد الزنى وأنه مائة جلدة، أو حد القذف وأنه ثمانون جلدة...

- أو آيات الفرائض كما هو الشأن في آيات المواريث.

- أو آيات الوعد والوعيد التي فيها تبشير المؤمنين الطائعين، وتحذير العصاة المخالفين... [1].

ب- أمثلة المتشابه في القرآن الكريم.

مثل العلماء للمتشابه في القرآن بآيات الأسماء والصفات التي يتعذر الوقوف على معانيها الحقيقية، والآيات التي تتحدث عن حقائق الساعة واليوم الآخر، والآيات التي تحدثت عن نعيم الجنة وعذاب النار، والآيات التي فيها الحروف المقطعة، من جهة تعذر الوقوف على معانيها على وجه التحديد. [2]

ويظهر أثر الاختلاف في تحديد معنى المحكم والمتشابه من جهة تعريف في الأمثلة التي مثل بها العلماء لكل منهما بين موسع فيهما ومضيق حسب ما اعتمده من التعريفات السابقة. [3]

ثالثا- منشأ الاختلاف في معرفة المتشابه في القرآن الكريم.

من المعلوم أن العلماء اختلفوا في إمكان الوقوف على معنى المتشابه من القرآن من جهة تأويله، وسبب اختلافهم ذاك؛ الوقف الوارد في قوله تعالى:" ﴿هُوَ ٱلذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلاَّ ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ "[4]. فاختلفوا في الوقف هل يكون على قوله تعالى:"وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلاَّ ٱللَّهُ" أم يكون

1 - ينظر التنبيه على أصل هذه الوجوه: "البرهان في علوم القرآن"، للزركشي:2/67-69، وينظر كذلك "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي:251.

2 - البرهان في علوم القرآن، للزركشي:2/67-68، وينظر كذلك الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:251.

3 - ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:251-252.

4 - آل عمران:07.

على آية: " وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" والسبب تلك "الواو" الواقعة بين اسم الجلالة **" الله"** وكلمة **" الراسخون"**، فمن رأى أنها استئنافية قال بالوقف على آية: **"وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ"**، فيكون علم تأويل المتشابه موكولا إلى الله وحده[1]. وممن قال بهذا: ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهم من الصحابة والتابعين وجمهور العلماء[2]، ويؤيده ما رواه الحاكم في مستدركه من قراءة ابن عباس:**" وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به"**[3]، ومنه كذلك قراءة ابن مسعود رضي الله عنه:**" وإنْ تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به"**.

ومما احتج به أصحاب هذا المذهب ورود ذم من اتبع متشابهه، ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة، ويؤيده ما ورد في الصحيحين "عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ { **﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾** } قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ"[4].

وذهب طائفة من العلماء إلى أن "الواو" في الآية السابعة من آل عمران للعطف فلم يوجبوا الوقف على اسم الجلالة **"الله"** فعطفوا عليه **" الراسخون"**، والمعنى أنهم ممن يعلم تأويل المتشابه. وممن قال بهذا الرأي مجاهد فيما نقله عنه عبد بن حميد؛ ففي قوله تعالى: **"وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا "** قال: "يعلمون تأويله ويقولون آمنا به، وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: الراسخون في العلم يعلمون تأويله ولو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ولا حلاله من حرامه ولا محكمه من متشابهه.

1 - البرهان في علوم القرآن:348/1.
2 - الإتقان في علوم القرآن:252.
3 - رواه الحاكم في مستدركه برقم: 289. وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
4 - متفق عليه.

واختار هذا القول النووي فقال: في شرح مسلم إنه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته"[1].

ولما أشكلت مسألة التأويل على نحو ما ذكر فقد سلك العلماء مذهبا توفيقيا فيها بحسب المعنى المراد منه:

-فهو يَرِد تارة بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهو اصطلاح المتأخرين.

-وتارة يكون بمعنى التفسير فقط؛ فهو الكلام المفسِّر للفظ المبيِّنُ لمعناه.

-ويرد التأويل بمعنى: الحقيقة التي يُؤَوَلُ إليها الكلام؛ فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته؛ هو حقيقة ذاته وحقيقة صفاته، وتأويل الخبر عن يوم القيامة؛ هو بيان ما يكون على وجه الحقيقة يوم القيامة، ولذلك احتاط العلماء في تأويل مثل هذا، وأوكلوا علمه إلى الله تعالى، فأوجبوا الوقف على آية: "وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُۥٓ إِلاَّ ٱللَّهُ"، فمثل هذا لا تطور العقول نحوه بغاية، فهو من قبيل ما استأثر الله تعالى بعلمه وحُجِب عن خلقه.

وبالنظر إلى هذه الإطلاقات الثلاثة على مفهوم التأويل قسم العلماء المتشابه إلى أنواع ثلاثة.

رابعا - أنواع المتشابه في القرآن الكريم، وأسباب وقوعه، ومنهج العلماء في تأويل متشابه الصفات.

1- أنواع المتشابه في القرآن الكريم.

حصر بعض العلماء أنواع المتشابه في القرآن في ثلاثة أنواع هي:

-النوع الأول: ما اختص الله تعالى بعلمه، ولا يستطيع البشر جميعا ان يصلوا إليه كالعلم بذاته وصفاته سبحانه، وكالعلم بالغيوب والساعة وسائر ما استأثر الله تعالى بعلمه.

-النوع الثاني: ما يستطيع كل الناس معرفته بالبحث والدرس، كالمتشابهات التي نشأ التشابه فيها من الإجمال والبسط والاختصار... (لفظ الأبّ، لفظ اليمين..).

-النوع الثالث ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم، بما يفتح الله لهم من المعاني التي قد تخفى على غيرهم.

1 - الإتقان في علوم القرآن:252.

وإلى هذه الأنواع الثلاثة أشار الراغب الأصبهاني بقوله:" ثمّ جميع المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل للوقوف عليه، كوقت السّاعة، وخروج دابّة الأرض، وكيفيّة الدّابّة ونحو ذلك. وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته، كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلقة. وضرب متردّد بين الأمرين يجوز أن يختصّ بمعرفة حقيقته بعض الرّاسخين في العلم، ويخفى على من دونهم، وهو الضّرب المشار إليه بقوله عليه السلام في عليّ رضي الله عنه: «اللهمّ فقّهه في الدّين وعلّمه التّأويل»، وقوله لابن عبّاس مثل ذلك "[1].

2- أسباب وقوع التشابه في القرآن الكريم.

يرجع سبب وقوع التشابه في القرآن الكريم إلى أمور ثلاثة هي:

الأول: التشابه بسبب خفاء اللفظ وحده، سواء في حال إفراده أو تركيبه:

ففي حال الإفراد قد يكون الخفاء في اللفظ من جهة غرابته، كما هي الحال في لفظ "الأَبِّ" و" يَزِفُّون". وفي حال التركيب يكون بسبب اختصار الكلام أو بسطه أو الترتيب والنظم.

الثاني ما يكون التشابه فيه بسبب خفاء المعنى وحده، كآيات الصفات وحقائق الآخرة... وكل ما خفي معناه على العباد.

الثالث ما يكون فيه التشابه بسبب اللفظ والمعنى معاً.[2]

3- مذاهب العلماء في تأويل الآيات المتشابهات الواردة في الصفات.

للعلماء مذاهب ثلاثة في التعامل مع آيات الصفات منها المقبول ومنها المردود:

- أولها: المذهب القائل بأنه لا مدخل للتأويل فيها، بل تجري على ظاهرها ولا يؤول شيء منها وهو مذهب المشبهة المجسمة، وهو باطل باتفاق العلماء.

- والثاني مذهب السلف القائل بأن لها تأويلا ولكنا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل ونقول لا يعلمه إلا الله.

والثالث وهو مذهب الخلف القائل بأنها مؤولة وتأويلها ينبغي أن يكون على ما يليق بجلاله سبحانه[1]، ونقل السيوطي عن ابن دقيق العيد قوله: "إذا كان التأويل قريبا من لسان العرب لم ينكر

1 - المفردات في غريب القرآن:444-445.

2 - ذكر هذه الأنواع الثلاثة وفصل فيها كثيرا الإمام الراغب في المفردات في غريب القرآن:443-445.

أو بعيدا توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه، قال: وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهرا مفهوما من تخاطب العرب قلنا به من غير توقيف كما في قوله تعالى: "يَـٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ " فنحمله على [معنى] حق الله وما يجب له.

قال الزركشي عن هذه المذاهب الثلاثة :"والأول باطل والأخيران منقولان عن الصحابة"[2]

خامسا – الحكمة من ذكر المتشابه في القرآن الكريم.

1- بعض الحكم من ذكر المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه.

- رحمة الله تعالى بهذا الإنسان الضعيف الذي لا يُطيق معرفة كل شيء.
- الابتلاء والاختبار للبشر هل يصدقون بالغيب أم لا؟
- إقامة الدليل على عجز الإنسان عن الإحاطة بكل شيء مهما بلغ من العلم، وإثبات العلم المطلق لله تعالى.

2 - بعض وجوه الحكمة من النوعين الثاني والثالث (ما يستطيع كل الناس معرفته بالبحث والدرس، أو ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم**).**

- تشابه القرآن دليل على إعجازه وبلاغته، وبلوغه الطرف الأعلى في البيان.
- تيسير حفظ القرآن الكريم لأنه لو تم التعبير عن كل تلك المعاني بألفاظ مبسوطة لطال هذا القرآن وشق حفظه.
- متى وُجد المتشابه كان الوصول فيه إلى الحق أصعب، فيزيد الأجر لزيادة المشقة التي توجب زيادة الثواب.
- وجود المتشابه يُلزم الناظر بتحصيل علوم كثيرة لفهمه من مثل علوم اللغة والنحو والصرف وأصول الفقه...
- إيقاظ العقول ودعوتها للاشتغال في نطاق ما تتيحه قواعد الشريعة وتسمح به دلالة الألفاظ[3].

1 - البرهان في علوم القرآن:78/2.
2 - البرهان في علوم القرآن:78/2.
3 - مناهل العرفان للزرقاني:430-431.

الناسخ والمنسوخ

تمهيد

يُعد مبحث الناسخ والمنسوخ من المباحث الجليلة التي لا غنى للناظر في كتاب الله عنها، سواء كان نظره فيها نظر مفسر أو أصولي أو فقيه مستنبط للأحكام الشرعية، ذلك أن الأحكام الشرعية ليست كلها على درجة واحدة في منهجية إقرار الشريعة لها؛ بين أن تقرها -الشريعة- ابتداء، أو أن تقرها عبر مراحل متدرجة يتلو بعضها بعضا[1] وتعتمد في ذلك منهج نسخ اللاحق للسابق. كل هذا يجري في إطار نسق تشريعي منوط بزمرة من الشروط والضوابط في باب النسخ الذي يعد واحدا من معالم منهجية التشريع في الإسلام.

ولأهمية هذا المبحث فقد أفرده جمع من العلماء بالتصنيف منهم "قتادة بن دعامة السدوسي وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني وأبو جعفر النحاس وهبة الله بن سلام الضرير وابن العربي وابن الجوزي وابن الأنباري ومكي وغيرهم"[2] قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ"[3].

وإذا كان الحديث عن النسخ في القرآن الكريم مرتبطا بعلاقة الآيات بعضها ببعض؛ فإن منهج النسخ قد حكم الشرائع السماوية المتعاقبة في علاقة اللاحق منها بالسابق، فيما يقبل النسخ من تفاصيل التشريعات العملية وفروعها التي تنزل حسب حاجة وخصوصية كل أمة، وأما العقائد وأمهات العبادات والمعاملات وأصول الأخلاق فكانت مشتركة فيما بينها جميعا فلم يطلها نسخ، فكانت بذلك اللحمة الجامعة بين كل الشرائع السماوية من آدم إلى خاتم الأنبياء محمد عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

1 - التدرج في تشريع الأحكام ليس بالضرورة أن يكون معتمِدا على النسخ وحده، بل القصد التنبيه على أنه أحد مرتكزاته وصوره.
2 - البرهان في علوم القرآن:28/2.
3 - الإتقان في علوم القرآن:252.

أولا - النسخ: مفهومه، مجاله، شروطه، أدلته، أهميته، الحكمة من وقوعه.

1- مفهوم النسخ.

1-1النسخ لغة:

ورد النسخ في اللغة بأحد معنيين.

الأول: الإزالة وما في معناها من المحو وإبطال الشَّيْءِ وإقامة آخَرَ مَقَامَهُ. "وكل شيء خَلَف شيئا فقد انتسخه. وانتسخت الشمسُ الظل، والشيبُ الشباب... ومنه تناسخ الأزمنة والقرون"[1].

والثاني: نقل الشيء وتحويله مع بقائه في ذاته أو معناه. ومنه نسخت الكتاب؛ إذا نسخت ما فيه إلى كتاب آخر، والاستنساخ كتب كتاب من كتاب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

1-2- النسخ اصطلاحا.

يُعرف النسخ بأنه :**" رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي" [3] أو "رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي"[4]**

ومما يستلزمه هذا التعريف:

- خرج بالحكم الشرعي رفع البراءة الأصلية.
- رفع الحكم يقتضي على وجه الحقيقة قطع تعلقه بأفعال المكلفين، لا رفعه هو، فإنه أمر واقع والواقع لا يرتفع[5]. والقصد أن الحكم الشرعي المنسوخ لم يعد له تعلق بأفعال المكلفين رغم إمكان تنزله عليهم عقلا.
- في ربط النسخ برفع الأحكام إخراج لما لم يكن من جنس النسخ كالتخصيص فإنه لا يرفع الحكم، بل يقصره على بعض أفراده.

---

1 - مقاييس اللغة لابن فارس، كتاب النون باب النون وما بعدها مادة "نسخ":5/423-424.
2 - الجاثية:29.
3 - مناهل العرفان للزرقاني 368.
4 - مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان: 238.
5 - مناهل العرفان:368.

2- مجال النسخ في الشريعة الإسلامية.

اتفق القائلون بالنسخ على أنه لا يكون إلا في الأحكام الفرعية العملية دون ما سواها من أحكام العقائد وأمهات الأخلاق وأصول العبادات والمعاملات، ومدلولات الأخبار المحضة كل هذا لا نسخ فيه على الصحيح الراجح وهو الذي عليه جمهور العلماء.

وبيان ذلك؛ أن العقائد لم يصح فيها النسخ لأنها حقائق صحيحة ثابتة لا تقبل تغييرا ولا تبديلا. وأما أمهات الأخلاق فلأن التحلي بها مقصود للشارع على مر العصور، ولذلك لم تختلف باختلاف الأمم لأنها مبادئ ثابتة، لكن يُنشد فيها الكمال وتسير بمنهج الإتمام بين الشرائع كما في قوله عليه الصلاة والسلام :" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وأما أصول العبادات والمعاملات فلا يطالها نسخ لحاجة الخلق الشديدة إليها، فلا يظهر وجه حكمة في رفعها بالنسخ، وأما الأخبار الواردة عن الأمم السابقة أو أخبار الغيب فلا يتصور فيها نسخ حتى لا يؤدي ذلك إلى كذب الشارع في أحد خبريْه الناسخ أو المنسوخ وهو أمر محال عقلا ونقلا.

3- شروط النسخ.

يشترط لصحة وقوع النسخ عند القائلين به أربعة شروط منها:

- أن يكون المنسوخ حكما شرعيا.
- أن يكون دليل رفع الحكم دليلا شرعيا.
- أن يكون الدليل الشرعي الناسخ متراخيا (متأخرا في الزمان) عن دليل الحكم المرفوع غير متصل به كاتصال القيد بالمقيد والتأقيت بالمؤقت، لأن تقييده بوقت معين لا يعد نسخا، وغاية ما يثبته انتهاء الحكم بانتهاء وقته.
- أن يكون بين الدليلين تعارض حقيقي بحيث لا يمكن الجمع بينهما معا.

4- أدلة ثبوت النسخ، وأهم المذاهب فيه.

تعددت المذاهب في النسخ إلى أربعة نذكرها على النحو الآتي:

المذهب الأول: مذهب اليهود الذين أنكروا وقوعه لأنه يستلزم البَداء وهو الظهور بعد الخفاء، والعلم بعد الجهل؛ ومستندهم في ذلك أن النسخ إما أن يكون لغير حكمة وهو محال على الله، وإما أن يكون لحكمة ظهرت بعد خفاء وهو مستلزم لسبق الجهل، وهو كذلك محال على الله.

لكن اليهود يُقرّون بأن شريعة موسى ناسخة لما قبلها، كما وردت في أحكامها أحكام مغايرة لما كان عند غيرهم من الشرائع، كتحريم الزواج من الأخت الذي كان مباحا في شريعة آدم عليه السلام، وتحريم كثير من الحيوان على بني إسرائيل بعد حِلّه، كما قال تعالى.﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّاً لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ ﴾.[1]

والحق أن ما ذهبت إليه اليهود مِن استلزام النسخ للبداء مذهب باطل، لأن حكمة كل من الناسخ والمنسوخ معلوم لله تعالى أزلاً، وما نشأ له فيه رأي أو علم جديد كان خفيا عليه، فحكمته اقتضت أن ينزل حُكما تنتهي مصلحته بوقت معلوم، ثم يشرّع للناس حكما آخر فيه مصلحتهم، وكل منهما كان بعلمه وتقديره، ولا يخفى عنه من ذلك شيء. ولذلك فإن التغير في هذه الأحكام من طريق النسخ إنما هو في المعلوم لا في أصل العلم، وأما الظهور بعد الخفاء فإنما هو بالنسبة للمخاطبين به، لا إلى الله تعالى الذي يعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

المذهب الثاني: مذهب الروافض الذين أقروا بأن النسخ يستلزم البداء، والظهور بعد الخفاء، ونشوء العلم بعد الجهل، وهم في ذلك متفقون مع اليهود فيما يستلزمه النسخ، لكنهم وقفوا على طرف النقيض معهم، ذلك أنهم - الروافض- غالوا في إثبات النسخ المستلزم للبداء في حقه سبحانه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بحيث أجازت الروافض في حقه سبحانه طُرُوَّ (حدوث ونشأة) العلم بعد الجهل، وتمسكوا بأدلة نقلية يقضي المنهج السليم بتحريفهم لفهمها وليّ أعناقها عند الاستدلال بها:

من ذلك استدلالهم بقوله تعالى:﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[2]. والآية في الحقيقة تثبت أن الله تعالى يغير ما شاء من شرائعه وخلقه على وفق علمه وإرادته وحكمته. فعلمه سبحانه لا يتغير ولا يتبدل، إنما التغير في المعلوم لا في ذات العلم، بدليل قوله تعالى بعد: ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾. أي وعنده الأصل الذي لا محو في ولا تبديل[3].

1 - آل عمران:93.
2 - الرعد:39
3 - أنظر في هذا المعنى تفسير جامع البيان للطبري: 16/ 492.

كما استدلت الرافضة على مذهبها بنصوص منقولة زورا عن أئمتها. من ذلك قول علي:" لولا البداء لحدثتكم بما هو كائن إلى يوم القيامة". وقول جعفر الصادق: "ما بدا الله تعالى كما بدا في إسماعيل"، إلى غيرها من النصوص التي هي من اختلاق الروافض، الذين كانت لهم مآرب عقدية وأخرى سياسية في القول بمثل هذا.

المذهب الثالث:" مذهب أبي مسلم الأصبهاني (ت322هـ) أن النسخ جائز عقلا ممتنع وقوعه شرعا، وقيل إنه يمنعه فقط في القرآن، ويحمل آيات النسخ على التخصيص، ويحتج لمنعه وقوع النسخ في القرآن بقوله تعالى: ﴿ لاَّ يَاتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]،

المذهب الرابع: مذهب جمهور العلماء أن النسخ جائز عقلا واقع شرعا وقد حكى المحققون الإجماع بين المسلمين على هذا القول قبل ظهور رأي أبي مسلم الأصبهاني ت 322هـ ومن شايعه في مذهبه.

وقد تضافرت الأدلة النقلية والعقلية على صحة مذهب الجمهور ومن ذلك:

- أن النسخ لا محظور فيه عقلا، وإن اختلف أهل السنة مع المعتزلة في بعض تفاصيله، لكن الاختلاف بينهم آيل إلى أن الله تعالى عالم بمصالح العباد، فله أن يأمر بالشيء في وقت وينهى عنه في وقت، لكنه عند المعتزلة مبني على أن الله تعالى يعلم مصلحة العباد في نوع أفعالهم، فأوجبوا على الله رعاية مصلحتهم فيما يشرع لهم نسخا، وعند أهل السنة فهو الفاعل المختار الذي لا يجب عليه رعاية مصالح عباده في تشريعه، فله أن يأمر عباده بما شاء، لكنهم نصوا على أن تشريعه لا يخلو من حكمة ومقصد فيه مصلحة للعباد.
- أن في أحكام الشريعة المُحكمة غير المنسوخة أوامر من الشارع تُلزم المكلف بالامتثال لوقت ثم يزول مقتضى الأمر، فتقييد الأمر بوقت يعني أن خروج وقته ناسخ لمقتضى الأمر، وهو رد على منكري وقوع النسخ في الشريعة.
- أن النسخ لو لم يكن جائزا عقلا واقعا شرعا لما ثبتت لنا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة، لأنه لو كانت تلك الشرائع باقية غير منسوخة لما أنزل الله تعالى هذه الشريعة، وقد تضافرت الأدلة على أن شريعة محمد ناسخة لكل الشرائع.

1 - فصلت: 41

وأما الأدلة النقلية فقد تعاضدت هي الأخرى، وتواردت تترى على وقوع النسخ في هذه الشريعة، وحسبنا أن نذكر بعضها خاصة مما ورد في القرآن نفسه مما تقوم به الحجة على هذا الأمر بلا ريب ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَاتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

- فتبين أن القول بجواز النسخ عقلا ووقوعه شرعا هو السبيل الأوحد لفهم نصوص هذا القرآن وأحكامه.

5- أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ.

تكمن أهمية العلم بالناسخ والمنسوخ في الآتي:

- معرفة الناسخ والمنسوخ طريق التفسير الصحيح لكتاب الله تعالى. قال الأئمة: "لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ"[3].
- معرفة الناسخ والمنسوخ سبيل رفع التعارض الظاهر بين بعض الآيات التي ثبت بينها النسخ.
- معرفة الناسخ والمنسوخ يهدي الناظر إلى الوقوف على سيرورة التشريع ومنهجه الرباني في إقرار الأحكام.
- معرفة الناسخ والمنسوخ يمكن من الوقوف على حكمة الله تعالى في تربيته للخلق، وابتلائهم بالتكليف مما يدل دلالة بينة على أن محمدا صلى الله عليه وسلام لم يأت بهذا القرآن من عنده بل هو من عند الله رب العالمين[4].

1 - البقرة: 106
2 - النحل:101
3 - الإتقان في علوم القرآن:252.
4 - ينظر مناهل العرفان علوم القرآن للزرقاني:467.

6- الحكمة من وقوع النسخ في الشريعة.

لا يخفى على كل ذي لب أن شريعة الإسلام ناسخة لكل الشرائع قبلها، فحكمة الله تعالى اقتضت أن تكون أكمل الشرائع الموفيةَ بمصالح الإنسان، المستوعبة لقضايا المكلفين على مر الزمان إلى قيام الساعة، فانتهت معها مسيرة التشريع الرباني إلى مرتبة الكمال، لتكون شريعةَ الله الخالدة إلى يوم المعاد، الناسخة لما قبلها من الشرائع المهيمنة عليها." وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه"[1].

كما اقتضت حكمة الله البالغة أن يكون يقع النسخ في ثنايا هذه الشريعة بين نصوصها وأحكامها بعضها البعض؛ بحيث يُعمل ببعض الأحكام لوقت معين، ثم تنسخ بعد ذلك. ويمكن ذكر بعض وجوه الحكمة من النسخ في الآتي:

- مراعاة مصالح العباد فيشرَّع لهم من الأحكام في كل مرحلة ما يحقق مصالحهم.
- بالنسخ تتطور الأحكام الشرعية إلى مرتبة الكمال حسب حاجة الأمة وطبيعة أحوالها.
- بالنسخ يقع اختبار المكلفين وابتلاؤهم بالتكليف هل يمتثلون أم يمتنعون.
- القصد إلى التيسير على الأمة إذا كان النسخ إلى ما فيه سهولة ويسر وتخفيف.
- زيادة الثواب إذا كان النسخ إلى ما هو أشق وأثقل.

ثانيا: أنواع النسخ وأقسامه في الوحي.

1- أنواع النسخ الوارد في القرآن الكريم.

النسخ الواقع في القرآن الكريم ثلاثة أنواع تتردد بين شمول النسخ للتلاوة والحكم معا، أو اقتصاره على أحدهما فقط:

- **نسخ التلاوة والحكم معا:** وقد حكي الإجماع على هذا النوع، وقيل خالف فيه قوم[2] ومثاله ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت:" كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يُقرأ من القرآن". وقد يوهم قولها:" وهن مما يُقرأ من القرآن" بقاء تلاوتها وليس الأمر كذلك فإنه غير موجود في المصحف العثماني كما هو معروف، فيُحمل كلامها على معنى حين قارب رسول الله صلى الله عليه

1 - المائدة: 48.
2 - ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي: 39/2.

وسلم الوفاة، فيكون أن تلاوتها نُسخت ولم يبلغ ذلك كل الصحابة قال السيوطي في الإتقان:" المراد أنه قارب الوفاة أو أن التلاوة نسخت ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفي وبعض الناس يقرأها"[1].

- **نسخ الحكم وبقاء التلاوة:** ومثاله ما في البقرة من نسخ حكم آية العدة بالحول للمتوفى عنها زوجها، فإن تلاوتها باقية رغم نسخ حكمها إلى الأربعة أشهر وعشر، كما تثبته الآية 234من سورة البقرة، وقد حكى بعض العلماء كالزركشي كثرة هذا النوع في القرآن لكن تعقبه المحققون من العلماء كالسيوطي في " معترك الأقران في إعجاز القرآن" وكذا في "الإتقان" وأشار إلى أنه مذهب بعض المحققين كابن العربي وغيره فنبهوا على قلّته قال السيوطي:" وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلفة، وهو على الحقيقة قليل جدا وإن أكثر الناسُ من تعديد الآيات فيه"[2]

- **نسخ التلاوة مع بقاء الحكم:** وقد ذكر له العلماء أمثلة من مثل آية الرجم:**" الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم"** فالآية منسوخة من حيث التلاوة باقية من حيث الحكمُ كما تعلم[3]، ويمثل لهذا النوع ما نزل في شأن أصحاب بئر معونة[4] الذين قُتلوا فقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على قاتليهم شهرا، فأنزل الله تعالى في شأنهم قرآنا ثم رفع – نسخ – وهو آية **" أن بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا"**[5] [6]. ومن هذا النوع كذلك ما يذكره بعض العلماء من نسخ جزء من بعض السور كما هو الشأن في سورة الأحزاب التي كانت تعدل سورة البقرة أو تزيد عنها، كما نسخت سور بأكملها، ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا يقرأون سورة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في طول براءة فنسخت بإنزال سورة في معناها وهي سورة التكاثر على أحد قولي العلماء.

---

1 - الإتقان: 275.
2 - الإتقان: 275. و"معترك الاقران":113/1.
3 - الإتقان: 279.
4 - هم القراء من الصحابة الذين بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم عام أربعة للهجرة مع رعل وذكوان وعصية وبني لحيان ليعلموهم دينهم فغدروا بهم وقتلوهم عند موضع يقال له بئر معونة. روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان فزعموا أنهم قد أسلموا واستمدوه على قومهم فأمدهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار قال أنس كنا نسميهم القراء يحطبون بالنهار ويصلون بالليل فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوهم فقنت شهرا يدعو على رعل وذكوان وبني لحيان. قال قتادة وحدثنا أنس أنهم قرأوا بهم قرآنا "ألا بلغوا عنا قومنا بأنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا". ثم رفع ذلك بعد.
5 - الإتقان: 280.
6 - أنظر الحديث بتمامه في صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير، باب العون والمدد. برقم: 2899.

2- أقسام النسخ في الوحي باعتبار مصدره.

النسخ الواقع بين نصوص الوحي كتابا وسنة أربعة اقسام:

2-1 نسخ القرآن بالقرآن: وقد أجمع القائلون بالنسخ على جوازه عقلا ووقوعه شرعا في القرآن الكريم، وتحته تدخل الأنواع الثلاثة السابقة الذكر (نسخ التلاوة والحكم، ونسخ الحكم مع بقاء التلاوة، ونسخ التلاوة مع بقاء الحكم).

2-2 **نسخ القرآن بالسنة: وتحته نوعان:**

أ- نسخه بالسنة المتواترة: وقد أجازه مالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية، وحجتهم في ذلك أن النسخ نوع من البيان، وقد تولت السنة بيان القرآن كما أن ثبوتها قطعي وان لم يصل درجة القرآن، ومنعه الشافعي وأهل الظاهر وأحمد في الرواية الثانية، واحتجوا بأن آيات القرآن تُنسخ بمثلها أو خير منها، والسنة ليست في مثل القرآن ولا خيرا منه فلا يقع بها نسخ.

ب- نسخ القرآن بسنة الآحاد: وقد منعه جمهور العلماء لأن القرآن مفيد للقطع وسنة الآحاد مفيدة للظن، ولا يجوز رفع الثابت بالقطع بما ثبت بالظن، فلا نسخ للقرآن بسنة الآحاد كما يحكي ذلك أبو بكر الباقلاني في "الانتصار للقرآن الكريم".

2-3- **نسخ السنة بالقرآن:** وقد أجازه الجمهور؛ ومثاله: أن التوجه إلى بيت المقدس فإنما ثبت بالسنة وليس في ثبوته بالقرآن شيء، غير أنه نسِخ بوجوب التوجه إلى بيت الله الحرام بالقرآن في قوله تعالى:" **فول وجهك شطر المسجد الحرام**" [1]

2-4 نسخ السنة بالسنة: وهو على أربعة أقسام أجاز منها العلماء ثلاثة واختلفوا في الرابع؛ فالثلاثة الجائزة هي نسخ المتواتر منها بمتواتر مثله، ونسخ الآحاد منها بالمتواتر، ونسخ الآحاد منها بمثله، وأما الرابع المختلف فيه وهو نسخ المتواتر منها بالآحاد لإفادة الأول القطع والثاني الظن على نحو ما قيل في نسخ القرآن بسنة الآحاد. وهذا النوع الرابع منعه الجمهور وأجازه أهل الظاهر.

3- أقسام النسخ باعتبار البدل وغيره.

نسخ الأحكام في القرآن الكريم إما أن يكون إلى بدل، أو إلى غير بدل:

1 - البقرة: 144.

أ- النسخ إلى غير بدل: ومعناه أن يرفع الحكم من غير أن يؤتى بحكم آخر يكلَّف به الناس، سواء أُبْقِيَ على تلاوة المنسوخ أم نسخت تلاوته. ومثال النسخ إلى غير بدل: نسخ حكم تقديم الصدقة عند مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم الوارد في قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوِيكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] فقد نسخ هذا الحكم ورفع من غير تكليف العباد بشيء كما تدل عليه الآية بعد:﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوِيكُمْ صَدَقَـٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2] .

ب - النسخ إلى بدل: هذا القسم من النسخ على ثلاثة مراتب: (نسخ إلى بدل أخف، أو إلى بدل مساوٍ، أو إلى بدل أثقل).

- **النسخ إلى بدل أخف:** بحيث يكون الحكم الناسخ أخف على نفس المكلف من الحكم المنسوخ؛ ومثاله نسخ حكم تحريم الأكل او الشرب أو الجماع بعد النوم في رمضان، أو بعد صلاة العتمة، وهو حكم كان جاريا على الأمم السابقة بدليل قوله تعالى في آية فرض الصيام:﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[3]، فنُسخ بإباحة ذلك كله في ليل رمضان حتى وقت الإمساك، كما يدل عليه قوله تعالى:﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ** ﴾[4]، ومثاله كذلك نسخ وجوب قيام الليل على المؤمنين الأوائل كما بينت ذلك أوائل سورة " المزمل" حيث نُسخ بصرفه الى الندب والاستحباب وهو الذي أثبتته آخر السورة، فكانت السورة التي نسخ آخرُها أولَها، وكان بين الحكم الأول والثاني عام.

1 - المجادلة:12.
2 - المجادلة:13.
3 - البقرة: 183.
4 - البقرة: 187.

•**النسخ على بدل مساوٍ في الحكم**: كنسح حكم وجوب استقبال بيت المقدس في الصلاة وهو الثابت بالسنة كما تبين قبلُ، - نسخه – بوجوب استقبال بيت الله الحرام في قوله تعالى :﴿ **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ** ﴾[1].

وهذان النوعان (النسخ إلى بدل أخف أو مساو) لا خلاف بين العلماء القائلين بالنسخ في جوازهما عقلا ووقوعهما شرعا في القرآن الكريم.

•**النسخ إلى بدل أثقل:** ومثاله نسخ حكم الحبس في البيوت لمن أتت الفاحشة من النساء المشار إليه في قوله تعالى:﴿ **وَالَّتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا** ﴾[2] فقد نسخ هذا الحكم بالجلد مائة لغير المحصن ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ** ﴾[3]، وبالرجم للمحصن كما في الآية المنسوخة تلاوة الباقية حكما " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة". ومن أمثلته كذلك نسخ وجوب صيام يوم عاشوراء بوجوب صيام شهر رمضان، ومن ذلك نسخ إباحة الخمر بتحريمها في المراحل الأربع المعروفة...

وجمهور العلماء على جواز هذا النوع عقلا ووقوعه شرعا ومستندهم ما ذكر من الأدلة سابقا.

1 - البقرة: 144.
2 - النور:02.
3 - النساء: 15

إعجاز القرآن

تمهيد

من أهم أوصاف القرآن الكريم أنه كتاب معجز، تحدى به الله عز وجل العرب الذين نزل فيهم خاصة، كما أن التحدي قائم به إلى يوم القيامة، لعموم قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا"[1]، فكان معجزةَ الله الخالدة، كما أنه أعظم معجزة أوتيها النبي عليه الصلاة والسلام، فلا تُذكر سائر المعجزات التي أوتيَها بجنبه، بل إنها معجزة ظاهرة في جنب معجزات الأنبياء والرسل جميعا؛ فقد كانت معجزاتهم حسية انقضت بانقضاء من شاهدها، أما معجزة القرآن فقد جعلها الله تعالى معجزة عقلية باقية، لتراها العقول في كل عصر وجيل. قال عليه الصلاة والسلام: **«مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»**[2]. قال السيوطي في الإتقان: "ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خُصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر (....) فمعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه"[3]. ويقول الباقلاني رحمه الله: "ولما أرسل رسوله محمدا، صلى الله عليه وسلم، إلى الناس أجمعين، وجعله خاتم النبيين - أيده بمعجزات حسية كمعجزات مَن سبقه من المرسلين، وخصه بمعجزة عقلية خالدة، وهي إنزال القرآن الكريم، الذي لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ولم يقاربوا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ".[4]

وقد تعددت وجوه إعجاز هذا القرآن على نحو يرفع كل شك في أنه لا يمكن إلا أن يكون من عند الله تعالى، وقد أخذت وجوه الإعجاز هذه بتلابيب العلماء، فخصوا مبحث إعجاز القرآن

1 - الإسراء:88.
2 - متفق عليه.
3 - الإتقان في علوم القرآن:393.
4 - إعجاز القرآن للباقلاني:5.

الكريم بتنبيهات نفيسة ضمنوها في تفاسيرهم كما هو الشأن بالنسبة للفراء (تـ207هـ) في "معاني القرآن" أو فيما صنفوه من المؤلفات عن القرآن بيانا لمعانيه، كما هي الحال لابن قتيبة (ت276هـ) في" تأويل مشكل القرآن"، إلى أن بدأت معالم استقلاله تتضح مع أبي عبيدة (ت210هـ) في " مجاز القرآن"، قبل أن يَخص الجاحظ (ت 255هـ) إعجاز القرآن بأول مصنف مستقل في كتابه:" نظم القرآن" الذي يكاد يُجمع الباحثون على أنه أول مصنف مستقل في باب الإعجاز، وقد ردَّ فيه على شيخه إبراهيم النّظّام (ت224هـ)، القائل بالصُّرفة ، ثم تتابعت التصانيف في مختلف القرون، فقد ألف فيه أبو الحسن علي الرماني المعتزلي (ت384هـ) ، كتابا سماه" النِّكَتُ في إعجاز القرآن"، وألف فيه أبو سليمان الخطابي (ت388هـ) كتاب " بيان إعجاز القرآن الكريم"، كما ألف فيه الإمام الباقلاني (ت403هـ) كتابا نفيسا سماه "إعجاز القرآن" نقل منه كلُّ من أتى بعده من العلماء، حتى قال ابن العربي رحمه الله:" لم يُصنَّف مثلُ كتابِه" ، وصنف إمام اللغة عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) "دلائل الإعجاز" وله كتاب "الرسالة الشافية" ، وجاء الإمام الرازي (ت606هـ) فاختصر كلا من "دلائل "الإعجاز" و"أسرار البلاغة" للجرجاني في كتاب سماه:" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" كما ألف كمال الدين الزملكاني (ت651هـ) كتابا سماه:" المُجيد في إعجاز القرآن المَجيد"[1].

وصنف الإمام السيوطي (ت911هـ) مؤلفه " معترك الأقران في إعجاز القرآن" وهو في ثلاثة أجزاء جمع فيه جهود السابقين فوصل بوجوه الإعجاز إلى خمسة وثلاثين وجها، وغير هؤلاء كثير. ومن المصنفات الحديثة نجد كتاب " النبأ العظيم" للشيخ المحقق عبد الله دراز، فإنه وإن لم يكن كتابا خاصا بالإعجاز، لكن مؤلِّفه رحمه الله أجاد فيه القول في وجوه الإعجاز على نحو فريد يؤهله لأن يكون في مؤلَّف مستقل، ومن التصانيف المعاصرة كذلك كتاب العلامة المحقق الشيخ محمود شاكر" مدخل إعجاز القرآن الكريم". وغيرهما كثير. مما يدل على أن قضية الإعجاز في القرآن كانت من القضايا الكبرى التي اعتنى بها العلماء تصنيفا وتأليفا، دحضا لكل تشكيك في أحد أهم أوصاف القرآن وخواصه.

1 - وللإمام كمال الدين الزملكاني كتابان آخران في باب إعجاز القرآن الكريم أولهما: **"التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن"** وثانيهما **"البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن"** أعاد فيهما ترتيب وتبويب كتاب "دلائل الإعجاز" للجرجاني.

أولا- حقيقة الإعجاز في القرآن الكريم، وورود التحدي به، والقدر المعجز منه.

1- مفهوم الإعجاز في القرآن الكريم.

1-1- الإعجاز في اللغة.

ورد الإعجاز في اللغة بمعنييْن: الضعف ومؤخّر الشيء قال ابن فارس:" (عجز): العين والجيم والزاء أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على الضَّعف، والآخر على مؤخَّر الشيء.

فالأول وهو الضعف - وهو المقصود عندنا- عَجِزَ عن الشيء يعجز عَجْزاً، فهو عاجزٌ، أي ضَعيف. وقولهم إنّ العجزَ نقيضُ الحَزْم فمن هذا؛ لأنه يَضْعُف رأيُه. ويقولون: "المرء يَعْجِز لا مَحَالة". ويقال: أعجزَني فلانٌ، إذا عَجِزْت عن طلبه وإدراكه". ومنه "أَعْجَزَه الشيءُ: عَجَزَ عنه والتَّعْجِيزُ التَّثْبِيط" ومنه:" الإعْجاز الفَوْتُ والسَّبْقُ يقال: أَعْجَزَني فلان أَي فاتني". فيكون الإعجاز من العجز المفضي إلى ترك الشيء لانعدام القدرة على طلبه وضعف القوة على تحصيله.

1-2- الإعجاز في الاصطلاح.

يُقصد بإعجاز القرآن باعتباره مركبا إضافيا:" إثبات القرآنِ عجزَ الخَلق عن الإتيان بما تحداهم به (...) ولكن التعجيز المذكور ليس مقصودا لذاته؛ بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسولَ الذي جاء به رسولُ صدقٍ" وهو ما يترتب عليه أمر عظيم حيث " يُنقَل الناسُ من الشعور بعجزهم إلى إيمانهم بأنها [المعجزة] صادرة عن الإله القادر، لحكمة عالية وهي إرشادهم إلى تصديق مَنْ جاء بها ليسعدوا باتباعه في الدنيا والآخرة"[1]. وقيل في تعريفه كذلك إنه: **" إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة، بإظهار عجز العرب عن معارضة معجزته الخالدة وهي القرآن، وعجز الأجيال بعدهم"**[2]. فيكون معنى إعجاز القرآن هو ذلك التحدي القائم للخلق على مرّ الأجيال المثبِت انتهاءً عجزهم عما تحداهم به، لكنه لم يُقصَد لذاته بل قُصد منه أمور ثلاثة:

- أولها إثبات أن هذا القرآن من عند الله، وليس فيه شيء من كلام المخلوقات.
- وثانيها التدليل بهذا الإعجاز على صدق نبوة ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

1 - مناهل العرفان للزرقاني: 459.
2 - مباحث في علوم لقرآن لمناع القطان:256.

-وثالثها حمل الخلق بهذا الإعجاز على العمل بهذا القرآن. والتصديق بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه في كل ما أمر به.

وجدير بالذكر أن هذا الإعجاز ليس خاصا بمَن نزلت فيهم الرسالة وبُعث فيهم النبي عليه الصلاة والسلام، فيكون إعجازا ظرفيا؛ بل هو إعجاز يمتد على طول الزمان إلى قيام الساعة، بما يُثبت عجز هذا الإنسان في كل جيل، يقول مصطفى صادق الرافعي:" ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، (...) ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالَم كله في العجز إنسان واحد".[1] ولذلك كانت معجزة القرآن خالدة يتجدد بها التحدي لكل جيل.

2- ورود التحدي بهذا القرآن.

لمَّا كان القرآن معجزة رسول الله ﷺ الباهرة، فقد تحدى به أهل زمانه، وهذا التحدي لم يكن فراغ؛ بل قد تداعت أسباب المُكنة اللغوية لهم، فهم الذين ملكوا ناصية البيان، فتحداهم القرآن بجنس ما يُتقنون، فتحدى ببيانه بلاغة البلغاء، وفصاحة الفصحاء، يقول الإمام الباقلاني رحمه الله: "وكان ذلك في زمانٍ سما فيه شأن البيان، وجلَّت مكانته في صدور أهله، وعُرفوا باللَّسْن والفصاحة، وقوة العارضة في الإعراب عن خوالج النفوس، والإبانة عن مشاعر القلوب"[2]، فلم يظفروا بما عرض لهم من أمر هذا التحدي بشيء؛- ولو استطاعوا لفعلوا- بل كل ذلك أثبت عجزهم أمام معجزة القرآن، وهم الألسن الخُلّصُ الذين طاوع البيانُ - في غير هذا التحدي- مرادَهم، وكانت البلاغة عتادَهم، والتفننُ في طرق الكلام زادَهم. وهو يَردُّ ما ذهب إليه "إبراهيم النظام" من القول "بالصُّرفة" التي مفادُها أن الله تعالى صرف العرب عن معارضة هذا القرآن، فسلبهم القوة والقدرة على ذلك، وبهذا تكون المعجزة حسب قولهم في هذا الصرف لا في كون القرآن مُعجِزا؛ لأنهم لو لم يُصرفوا لأمكنهم الإتيان بمثله، ولكن عاقهم أمر خارجي. وقد أجمع العلماء على رد هذا القول وبطلانه من وجوه كثيرة منها:

1 - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: 167.
2 - إعجاز القرآن للباقلاني:5.

قوله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ إجْتَمَعَتِ إلِانسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَنْ يَّاتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لاَ يَاتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾[1] فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سُلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجزُ الموتى بكبير يُحتفل بذِكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزا غيرُه وليس فيه صفة إعجاز، بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله، وأيضا يلزم من القول بالصُّرفة فساد آخر وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خَرق لإجماع الأمة فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى ولا معجزة له باقية سوى القرآن، وخلوُّه من الإعجاز يُبطل كونه معجزةً"[2].

ومما يُبطل ما ذُكر من القول بالصرفة "أنه لو كانت المعارضة ممكنة - وإنما منع منها "الصرفة " - لم يكن الكلام معجزاً. وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه"[3]

ويتأكّد هذا التحدي من جهة القرآن -الذي تأكد معه عجز أرباب البيان- بما سلكه القرآن معهم من التدرج في معراج هذا التحدي؛ فمِن تحدي الإتيان بمثله كما في قوله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ إجْتَمَعَتِ إلِانسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَنْ يَّاتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لاَ يَاتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾[4]، إلى التحدي بعشر سور من مثله، كما في قوله تعالى:﴿ آم يَقُولُونَ إفْتَرِيٰهُ قُلْ فَاتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَادْعُواْ مَنِ إسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ إللَّهِ إن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ إللَّهِ وَأَن لآَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلَ آنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[5]، إلى التحدي بسورة واحدة من مثله؛ كما في قوله جل ثناؤه:"وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَاتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن

1 - الإسراء:88.
2 - البرهان في علوم القرآن للزركشي:94/2.
3 - إعجاز القرآن:30.
4 - الإسراء:88.
5 - هود 13-14.

دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] وقوله أيضا في ذات السياق من سورة أخرى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَادْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [2]، يقول الإمام الباقلاني رحمه الله :"وظل رسول الله صلوات الله عليه، يتحداهم بما كانوا يعتقدون في أنفسهم القدرة عليه، والتمكن منه، ولم يزل يَقرعُهم ويُعجِزهم، ويكشف عن نقصهم، حتى استكانوا وذلوا، وطبع عليهم الخزيُ بطابعه، وصاروا حيال فصاحته في أمر مريج"[3]. وواصل القرآن ومعه النبي الكريم ﷺ الظهور على المشركين ومعتقداتهم، فغدا ينتقل مع مرور الزمن، وتجدد التحدي من نصر إلى نصر ومن قوة إلى قوة؛ "وهم على رغم هذه المطاولة ينتقلون من عجز إلى عجز ومن هزيمة إلى هزيمة، وهو في كل مرة من مرات هذه المطاولة ينتقل من فوز إلى فوز ويخرج من نصر على نصر"[4].

القدر المعجز من القرآن.

اختلف العلماء في القدر الذي يكون به الإعجاز على مذاهب:

-أولها: مذهب المعتزلة القائل بأن الإعجاز إنما يكون بجميع القرآن لا ببعضه، او بكل سورة برأسها (أي بتمامها)[5]. قال السيوطي: "والآيتان السابقتان ترده[6]"[7]

- وثانيها: مذهب طائفة من العلماء أن القرآن معجِز بالقليل منه والكثير، وكل ما يصدق عليه قرآن ولو أن يكون أقل من سورة[8] ، واستشهدوا بقوله تعالى:**"**فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن

1 - البقرة: 23-24.
2 - يونس:38
3 - إعجاز القرآن للباقلاني:5.
4 - مناهل العرفان:460.
5 - الإتقان:400.
6 - يَقصد الآية: 13 من سورة هود التي ورد التحدي فيها بعشر سور، وكذلك الآية: 22 من سورة البقرة التي ورد فيها التحدي بالسورة الواحدة.
7 - الإتقان:400
8 - الإتقان:400

كَانُواْ صَٰدِقِينَ"[1]، وقد رد القاضي أبو بكر الباقلاني هذا القول:" لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة"[2].

- **وثالثها: مذهب طائفة أخرى من العلماء: أن القرآن معجز بأقصر سورة منه** بدليل الآيات السابقة التي ذكرناها في معرض تحدي القرآن للعرب، فكان أقل ما وقع به التحدي في هذا الباب إنما هو سورة واحدة، بعدما تحداهم بما هو أكبر منها بالعشر سور وقبلها بالقرآن كله، وممن اختار هذا القول أبو الحسن الأشعري، وتابعه في ذلك كبار الأئمة كالباقلاني وغيره، ورجحه كثير من العلماء[3]. قال الباقلاني:" **والطريقة الأولى أسدّ**"[4]؛ يَقصد هذا المذهب، وقال القاضي عياض في " الشفا":

"وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾[5] أو آية في قدرها، وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيفما كانت معجزة، وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة، وإن كانت من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه أولاً لقوله تعالى " **فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ**"هو أقل ما تحداهم به، مع ما يَنصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه"[6]

ولمسألة إعجاز القرآن نزوعات كلامية تطول ذيولها ليس هذا موضع بسطها[7].

ثانيا- أنواع الإعجاز في القرآن الكريم.

لمّا كان هذا القرآن معجزا اختلفت العلماء في حصر وجوه الإعجاز فيه، بين مَن جعلها في وجوه قليلة رأى أن مسمى الإعجاز يتحقق بها، وترجع إليها سائر الوجوه، وطائفة أخرى من العلماء اختاروا بسطها وتتبعها وجها وجها، حسبما ظهر لهم، لكن العلماء نبهوا في معرض حديثهم في ثنايا هذا الاختلاف إلى أن وجوه الإعجاز تلك لا يضبطها العد، ولا يحصرها الحد، لتجدد ذلك في كل جيل. " وقد أفرد علماؤنا رضيَ الله عنهم بتصنيف إعجاز القرآن، وخاضوا في وجوهِ إعجازِه

1 - الطور:22.
2 - إعجاز القرآن:254.
3 - ينظر مناهل العرفان للزرقاني:460.
4 - إعجاز القرآن:255.
5 - الكوثر:01.
6 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى:396/1.
7 - يُنظر البرهان في علوم القرآن للزركشي:93/2.

كثيراً، وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين. والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه كما قال السكاكي في المفتاح: "اعلم أن إعجاز القرآن يُدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها"[1]، وقال عياض رحمه الله:" "هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه"[2].

وعلى اتفاقهم في القول إن وجوه إعجازه لا يضبطها العد، ولا يحصرها الحد، فقد اختلفوا كما سلف البيان في ذكرها بين مُوسِّع في ذلك ومضيق، فالموسعون بلغوا بها الثمانين وجها، وأوصلها السيوطي في "معترك الأقران" إلى خمسة وثلاثين وجها، بينما اختصرها بعض الأئمة في وجوه ورأى سائر الوجوه ترجع إليها، ومن هؤلاء الإمام القاضي عياض رحمه الله الذي أرجع أصولها إلى أربعة فقال: "اعلم ـ وفقنا الله وإياك ـ أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه:

أولها : **حسن تأليفه والتئام كلمه و فصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادةَ العرب،** وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام؛ قد خصوا من البلاغة والحِكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من درابة اللسان ما لم يؤت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يقيّد الألباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب و يدلون به إلى كل سبب".[3]

وثانيها: **صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها** الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه، وانتهت فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر"[4].

وثالثها: **"من الإعجاز ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيَّبات،** و ما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر به كقوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[5] " [6]

1 - معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي:5/1.
2 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى:370/1.
3 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى:197/1.
4 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 201/1.
5 - سورة الفتح: 27.
6 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 203/1.

ورابعها: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم. وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمِّي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم. و قد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه ـ صلى الله عليه و سلم ـ عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء مع قومهم و خبر موسى والخَضِر و يوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الأنبياء".[1]

ويُمكن – اختصارا – أن نقف على أنواع أربعة للإعجاز القرآني، نستثمر فيها ما ذكره علماء السلف ولا نفوت ما اشتغل به الخلف وخاصة في القرون المتأخرة، وهذه الأنواع هي: الإعجاز البياني اللغوي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز الغيبي، والإعجاز العلمي، ونُفرد كلا منها ببيان مختصر.

1- الإعجاز اللغوي البياني.

ذلك الذي أعجز فيه القرآنُ العربَ أربابَ البيان والفصاحة، وشل ألسنتهم عن مجاراته بكل صراحة، وهذا النوع هو الذي وقع به التحدي، وإذا كان أولئك قد عجزوا وخابوا في هذا السعي، فغيرُهم ممن ضعفوا عن رتبتهم في الفصاحة أعجَزُ في هذا الجري.

نعم لقد أبدع القرآن بلغته كل الإبداع، ووصل بأسلوبه غاية الإمتاع، وبمنطقه المشكَّل من قوالب البيان قمة الإقناع، فشنف الأسماع، وأحكم الإسماع، فرأيتَ الرقاب المفوّهة تذل له وتنصاع، يقول الشيخ عبد الله دراز عن بعض وجوه هذا الإعجاز في "النبأ العظيم": "فالجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول ، يتخيّر له أشرف المواد، وأمَسَّها رُحما بالمعنى المُراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كلَّ مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به: بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآتَه الناصعة، وصورتَه الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين، لا يوما أو بعض يوم، بل على أن تذهب به العصور وتجيء به

1 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى:205/1.

العصور، فلا المكان يريد بساكنه بَدَلاً، ولا الساكن يبغي عن منزله حِوَلاً... وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان"[1].

ومن عجيب بيان القرآن أن يكون في قمة البيان، فهو "ملتقى نهايات الفضيلة البيانية كلّها على تباعد ما بين أطرافها"[2]، فلا يُدانيه من ألسنة الخَلق لسان، ولا يعدله في ذلك أسلوبُ إنسان، بما في ذلك أسلوب حديث النبي العدنان عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو شاهد على أنه – القرآن الكريم- لو كان من عند رسول الله لتساوى لا محالة مع أسلوب الحديث، لكنه من كلام الله جل جلاله:﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾[3] يقول الشيخ دراز:" ونحن نرى الأسلوب القرآني، فنراه ضربا وحده، ونرى الأسلوب النبوي فنراه ضربا وحده، لا يجري مع القرآن في ميدان إلا كما تَجري مُحلِّقات الطير في جو السماء لا تستطيع إليها صعودا (...) وكل من يرى بعينين أو يسمع بأذنين إذا وضع القرآن بإزاء غير القرآن في كفتيْ ميزان، ثمّ نظر بإحدى عينيْه، أو استمع بإحدى أذنيْه إلى أسلوب القرآن، وبالأخرى إلى أسلوب الحديث النبوي وأساليب سائر الناس، وكان رُزق حظا من الحاسة البيانية والذوق اللغوي؛ فإنه لا محالة سيؤمن معنا بهذه الحقيقة الجلية"[4].

ولَكَم اشْرَأَبَّت أعناق بعض ذوي الغرور الذين سولت لهم قرائحهم البيانية أن يُجاروا القرآن في مثل مضمار بيانه، ويشيدوا في أسماع الخلق –زعموا- مثل بُنيانِه، فانقبلوا صاغرين بما صنعوا، وخجلت أنفسهم مما وضعوا، فصاروا أضحوكة الدهر، وحديث كل لسان وثغر، فانحدروا في رتب الفضيلة إلى أسفل قعر؛ ذلك أنه لمّا " حاول مسيلمة أن يُعارضه جعل يطبع على قالبه، [أي يقول على شاكلة قول القرآن ووزانه] فجاء بشيء لا يشبهُه، ولا يشبه كلام نفسِه، وجنح إلى أقرب ما في الطباع الإنسانية وأقوى ما في أوهام العرب من طرق السجع، فأخطأ الفصاحة من كل جهاتها، وإن الرجل لفصيح"[5] أي في أصله قبل مقالته السخيفة تلك.

وجماع القول إن القرآن قد جمع كمال البيان، وأعجز في هذا الأمر كل لسان، فكان حجة الله على الخلق بما نطق به من آيات الصدق وكلمات الحق، وكان سبيل الرشاد إلى التي هي أقوم وهو بها أحق.

---

1 - النبأ العظيم:92.
2 - النبأ العظيم:108.
3 - النساء:122.
4 - النبأ العظيم: 98-99-100.
5 - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي:244.

2- الإعجاز التشريعي.

من جوانب الإعجاز الكبرى في هذا القرآن، أن كان هداية الله المتكاملة للإنسان، فقد حمل للبشرية دستورا متكاملا لا ترى فيه عوجا ولا أمْتًا، هذا الدستور وفَّى بحق كل الحاجات الإنسانية فأروى ظمأ النفس البشرية رَيّاً، واهتم بما يُسعدها كسبا وسعيا، فكان إعجازه في هذا الباب شاملا مستوعبا هاديا؛ ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[1]، ومما يجلي جوانب الإعجاز التشريعي الذي أحاط به القرآن حياة الإنسان، وأسسه على أمتن بنيان؛ نذكر:

- عنايته بإصلاح العقائد، وتصحيح الإيمان، وبناء أسسه.
- عنايته بالعبادات بمفهومها الواسع الشامل، فالتعبد الشامل مقصد من أجلّ المقاصد الشرعية في الخلق.
- عنايته بالمعاملات الإنسانية، التي يتحصل بها العمران البشري للأرض إقامة لمقصد الاستخلاف.
- عنايته بالأخلاق التي يسمو بها بالإنسان.
- الدعوة إلى ما فيه صلاح الأمة ووحدة كلمتها، ونبذ فرقتها وشتاتها.
- عنايته بمنهج السير في هذه الحياة القائم على القصد والتوسط في السعي للعاجلة والآجلة.
- عنايته بالسياسة وأسس الحكم وإقامتهما على أساس العدل.
- عنايته بالمال والاقتصاد.
- إصلاح النفس الإنسانية في مختلف أبعادها.
- تحرير العقل والفكر من كل القيود التي تخلد به إلى الأرض، وتعطله عما تعلق بذمته من الواجب والفرض.
- عنايته بأسس التعايش داخل المجتمع وبين الأمم.
- عنايته بآداب الحرب.

1 - الأنعام:38.

- إمداده الإنسان بمنهج التعامل مع الكون وعناصره، وصولا إلى الانتفاع الأمثل بالمسخرات. (...)[1]

هذا غيض من فيض بحر إعجاز القرآن التشريعي، وتلك ذرات من فضاء هديه الشامل، الذي يدخل ليلامس الحاجات الإنسانية، بقدر حاجتها إلى النَّفَسِ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُوراً فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[2].

3- الإعجاز الغيبي.

من أظهر وجوه نسبة هذا القرآن إلى رب العزة، ما تضمنه من حديث عن قضايا الغيب التي تقطع الشك باليقين بأن هذا القرآن لا يمكن –عقلا- أن يقوله إنسان، فما بالك أن يأتي به من لم يسبق له أن قرأ كتابا أو خطه بيمينه، وقد تنوعت صنوف الغيب الواردة في هذا الكتاب العزيز بين غيوب ضاربة في آباد تاريخ الأمم السابقة، فحفل القرآن بقصص الأنبياء والأمم السابقة، فقد أورد تفاصيلها على نحو تعجز عقول البشرية مجتمعة على إيراده، ، بل وأنبأ البشرية بقصة الخلق الأول، وبما لا سبيل لها إلى إدراكه حتى ولو عُمِّرت كل مُعَمَّر، حين أنبأها عن عالم الذرّ يوم أن كانت البشرية نسمات في ظهر أبينا آدم عليه السلام، بل وجاءها من غيب الملأ الأعلى ما لا قبيل لها به.

ومن صنوف الغيب الوارد في القرآن غيب الحاضر وهو " ما يتصل بالله والملائكة والجن والعرش والسماء وخلقها...ومنه أيضا ما فضح الله به المنافقين في عصر الرسول ﷺ مما كان قائما بهم وخفيَ أمرُه عليه..." [3]. ومن أنواع الغيب الوارد كذلك في القرآن الكريم ما يتعلق بغيب المستقبل، فقد حَفُل القرآن بحقائق الغيب المستقبلية التي تَحقق فيها وعد الله كما أخبر،﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لاَ يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾[4] ومن ذلك تمثيلا لا حصرا؛ الإخبار بانتصار الروم على الفرس في بضع سينين قادمة من نزول الآية المخبرة بهذا الغيب، وذلك بعدما ألحقت الفرس بالروم شر هزيمة سنة 614 للميلاد، فوعد الله تعالى بانتصار الروم بعد ذلك وحدد له ميقاتا، كما حمل هذا الوعدُ بشرى للمؤمنين كذلك، وفعلا بعد ثمان سنوات انتصر الروم على الفرس، وذلك عام 622 للميلاد، الذي يوافق السنة الثانية

1- تُنظر هذه الجوانب وغيرها كثير" كيف نتعامل مع القرآن" للدكتور يوسف القرضاوي: 56- 139، ومناهل العرفان للزرقاني:471-472.
2 - النور:40.
3 - مناهل العرفان:481-482.
4 - الروم:05.

للهجرة، وهي السنة التي انتصر فيها المسلمون على المشركين في غزوة بدر، وكانت البشرى كما وعد الله﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ [1]. ويقال مثل هذا فيما وعد الله نبيه ﷺ من دخول البيت الحرام بعد الرؤيا التي رآها في المنام، فتحققت كما وعد الله سبحانه، وغير هذا في القرآن كثير.

وبالجملة فحقائق الغيب جزء لا يتجزأ من إعجاز القرآن الذي يُبِينُ عن مصدره.

4- الإعجاز العلميّ.

امتدت آفاق الإعجاز في القرآن الكريم إلى الحقائق والعلوم الكونية؛ متمثلة في آيات الآفاق والأنفس، بما تحدث عنه القرآن من حقائق بل ودقائق عن خلق الإنسان وخلق الكون بمنحى يُبهر العقول ويأخذ بتلابيب القلوب، وحقائق هذا النوع من الإعجاز دليل آخر على نسبة هذا القرآن لرب العالمين، فليس بإمكان رجل أمي أن تمتد عيون فكره، وأيادي عقله إلى حقائق كانت وما يزال جلُّها منسوبا إلى عالم الغيب، لأن الإنسان لم يكتشف منها إلا قطرات من بحر ما أخبر به القرآن، لتأتي العلوم الكونية وهي في أسمى مراحلها فتقر بما أنبأ به من الحقائق.

وبإزاء ما ذكره القرآن من علوم الكون هذه؛ نشأ نوع من التفسير يُعنى ببيانها؛ وهو ما يسمى بالتفسير العلمي للآيات الكونية المذكورة في القرآن، غير أن العلماء قديما وحديثا كانت لهم مواقف تتأرجح بين القبول والرفض لهذا النوع من التفسير، وبين هذين الطرفين يقف أهل الاعتدال.

فمن القائلين بالتفسير العلمي للقرآن من القدامى؛ الإمام أبو حامد الغزالي (ت505هـ) رحمه الله في كتابيْه "إحياء علوم الدين " و " جواهر القرآن" فقال في الإحياء:" وبالجملة فالعلوم داخلة كلها في أفعال الله عز وجل وصفاته(...) وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها"[2] وفي "جواهر القرآن" أشار إلى أن جميع العلوم " مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى، وهو بحر الأفعال وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له"[3]، وناصره في ذلك السيوطي في "الإتقان" وفي "إكليل التأويل في استنباط التنزيل"، فالعلوم بحسب هذا الرأي مبثوثة في القرآن وعلى الإنسان أن يسعى للكشف عنها. وقد وجد هذا الرأي تأييدا من لدن كثير من علماء هذا العصر، بل يوجد من

1 - الروم:03-04.
2 - إحياء علوم الدين:229/1.
3 - جواهر القرآن:32-34.

توسع فيه وجرده من الأزِمّة والخُطُم، فلم يجد حرجا في البحث لكثير من الحقائق العلمية عما يناسبها من التفسير القرآني، سواء كانت في شكل نظريات أو فرضيات أو حقائق علمية نسبية سرعان ما يُثبت العلم تغيرها، وأكثر هؤلاء المتحمسين هم من علماء الطبيعة.

ورفضت طائفة من العلماء - وهم الفئة الغالبة-[1] هذا النوع من التفسير العلمي، ومن هؤلاء بعض القدامى كالشاطبي (ت 790هـ) رحمه الله، الذي يرى بأن القرآن نزل لقوم أميين، وأن هذه الشريعة أمية، نزلت على رجل أمي، ولم يؤثر عن الصحابة ومن تبعهم وهم أعلم الناس بالقرآن وعلومه أنهم اشتغلوا بهذه العلوم الكونية، أو حصلوا الأدوات التي بها بيانُها، واختار هذا المذهب طائفة من علماء العصر منهم الشيخ محمد رشيد رضا صاحب "تفسير المنار"، والشيخ محمد شلتوت، وسيد قطب رحمه الله الذي قال عند بيانه لقوله تعالى:" يسألونك عن الأهلة"[2]:" وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يَقصِد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلَك وما إليها كأنما ليُعظموه بهذا ويكبروه!. إن القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها "[3]

ووقف موقفَ الوسط بين المذهبيْن السابقين طائفةٌ من العلماء المعاصرين، فلم يتشددوا في النفي، ولم يتوسعوا في الإثبات، فأجازوا أن يُستفاد من النظريات العلمية الحديثة الثابتة فيما يُقرِّب معنى النص القرآني أو يعمق مدلوله فيما ذكره من الحقائق التي تطابقها العلوم، أو في تصويب تفسير بعض مفرداته عند المفسرين القدامى، أو في تقريب الحقائق الدينية للناس. لكن ينبغي أن يكون ذلك بحذر شديد، ومن غير تكلف، مع الاعتقاد أن عظمة القرآن وإعجازَه لا يتوقف على ما تُثبته هذه العلوم، بل هو معجز بذاته[4].

وخارج نطاق هذا الاختلاف لا يُماري أحد في أن القرآن تضمن إعجازا علميا كونيا؛ ذلك الذي تحدث فيه عن آيات الآفاق والأنفس بنوع من التفصيل يقضي المنطق بأن مجرد ذكر تلك الحقائق معجز بذاته، بَلْهَ أن تُثبتَه النظريات العلمية وتُؤيدَه.

1 - ينظر كيف نتعامل مع القرآن للشيخ القرضاوي:431.
2 - البقرة:189.
3 - في ظلال القرآن:154-155.
4 - ينظر " كيف نتعامل مع القرآن:443، 453-457. ومناهل العرفان:477-.478

غريب القرآن

تمهيد

تعددت وجوه عناية العلماء بكتاب الله عز وجل بيانا وتفسيرا، ومن ذلك عنايتهم ببيان غريب ألفاظه التي هي مدخل لبيان معانيه، وقد حظي هذا العلم باهتمام العلماء تصنيفا وتأليفا، حيث أفرده خلق كبير بالتصنيف، إزالة لكل لَبس عن معاني كلمات القرآن المفردة، كما أن مناهجهم قد تعددت في هذا الأمر. وقد ذكر العلماء بعضا من الآثار التي تحث على هذا الأمر؛ من ذلك ما رواه البيهقي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم: قال **"أعربوا القرآن و التمسوا غرائبه"**[1] قال السيوطي:" المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس الإعراب المصطلح عليه عند النحاة".[2]

أولا – مفهوم غريب القرآن الكريم، صلته بعلم التفسير، أهمية العلم به.

1- مفهوم علم غريب القرآن الكريم.

أ - الغريب في اللغة.

الغريب في أصل اللغة يأتي بمعان كثيرة منها البُعد والخفاء وعدم الظهور؛ قال ابن فارس:" (غرب) الغين والراء والباء أصلٌ صحيح، وكَلِمُهُ غير مُنْقاسةٍ لكنَّها متجانسة، فلذلك كتَبْناه على جهته من غير طلبٍ لقياسه. (...)والغَرْب أيضاً بسكون الراء، في قولهم: أتاهُ سَهْمٌ غَرْب، إذا لم يُدْرَ مَن رماه به"[3]. "ورجل غُرُب بضم الغين والراء وغريبٌ بعيد عن وَطَنِه الجمع غُرَباء والأُنثى غَريبة (...) والغُرُوبُ غُيوبُ الشمس غَرَبَتِ الشمسُ تَغْرُبُ غُروباً ومُغَيْرِباناً غابَتْ في المَغْرِبِ وكذلك غَرَبَ النجمُ".[4]

ب -علم غريب القرآن في الاصطلاح.

علم غريب القرآن هو العلم المختص ببيان معاني الألفاظ القرآنية الغامضة وتوضيح معانيها استنادا إلى ما ورد في لسان العرب ولغتها، فيُزال ما في اللفظ من خفاء في المعنى بإيراد ما يُبينه من كلام العرب. قال الخطابي في غريب الحديث:" إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين:

1 - رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب تعظيم القرآن، فصل في قراءة القرآن بالتفخيم والإعراب برقم: 2290، 426/2. وضعفه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح برقم:2165.

2 - الإتقان في علوم القرآن:138.

3 - مقاييس اللغة لابن فارس، كتاب الغين، مادة" غربّ:420/4.

4 - لسان العرب لابن منظور، باب الباء، مادة "غرب" 437/1.

أحدهما أن يراد به بعيدُ المعنى غامضُه، لا يتناوله الفهم إلا عن بُعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر أن يراد به كلام من بَعُدت به الدار ونأى به المحل من شواذِّ قبائلِ العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها، وإنما هي كلام القوم وبيانُهم، وعلى هذا ما جاء عن بعضهم وقال له قائل: أسألك عن حرف من الغريب، فقال: هو كلام القوم، إنما الغريب أنت وأمثالك من الدخلاء فيه." [1] وقال الجرجاني في تعريفاته:" الغرابة كون الكلمة وحشيةً غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال" [2]

وبهذا يكون موضوع علم غريب القرآن هو البحث في معاني الألفاظ القرآنية مفردة غير مركبة، كما أن البحث في تلك الألفاظ إنما يكون من جهة ذكر معانيها في أصل اللغة، لا البحث فيما يتعلق بها من سائر الوجوه الأخرى كالنحو والصرف ... فكُتب علم الغريب تهتم ببيان معاني الألفاظ القرآنية مفردة، فهي أقرب إلى المعاجم وأشبه بها.

2- صلة علم غريب القرآن بعلم التفسير.

علم غريب القرآن مختص كما سلف الذكر ببيان معاني الألفاظ القرآنية التي يظهر فيها – غالبا- الخفاء من جهة إفرادها لا من جهة تركيبها، لأن بيان معانيها مركبة من اختصاص علم التفسير كما هو معلوم.

ولعلم غريب القرآن صلة وطيدة بعلم التفسير، ويمكن تحديد وجوه الصلة المختلفة بينهما في الآتي:

- علم غريب القرآن يهتم بمعاني الألفاظ مفردة غير مركبة.

- علم التفسير يهتم ببيان معاني الألفاظ مركبة، ويتوسل لذلك بجملة علوم أخرى تساعد على ذلك؛ كعلم الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول...

- علم غريب القرآن جزء من علم التفسير، لأن بيان معاني الألفاظ مركبة لابد فيه من بيان لمعاني الألفاظ مفردة؛ لأنها منه بمنزلة اللَّبِن من البنيان. قال الزركشي رحمه الله: "فصل فيما يجب على المفسر البداءة به: الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه، وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه، قالوا: وليس ذلك في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره وهو كما قالوا: إن المركب لا

1 - غريب الحديث للخطابي:71/1.
2 - التعريفات:207.

يعلم إلا بعد العلم بمفرداته لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي فنقول النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها".[1]

3- أهمية علم غريب القرآن.

لعلم غريب القرآن أهمية كبرى لتعلقه ببيان القرآن من جهة ألفاظه المفردة، فضلا عن توقف علم التفسير عليه، إذ معرفة الغريب طريق لمعرفة المعنى المراد من الآية مجتمعة الألفاظ، ولذلك نبه العلماء على عدم صحة اقتحام حمى تفسير كتاب الله لمن لا دراية له بغريب لفظه، قال الزركشي رحمه الله:" ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى، قال يحيى بن نضلة المديني سمعت مالك بن أنس يقول:" لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا". وقال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب". وروى عكرمة عن ابن عباس قال: "إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"[2].

ثانيا – أشهر المصنفات في علم غريب القرآن، ومناهج العلماء في تصنيفها.

أولى العلماء لعلم غريب القرآن عناية كبيرة من حيث حجم ما صنفوه في هذا الفن[3] ، سعيا منهم لتقريب معاني كلام الله تعالى، كما تجلت كذلك في بدئهم التصنيف في هذا الفن من وقت مبكر، وأقدم من ُينسب إليه التصنيف فيه، هو عبد الله ابن عباس ترجمان القرآن، غير أن كتابه لم يظفر به العلماء ولم يقفوا عليه[4]. وقيل إن أقدم الكتب كتاب ينسب لأبي سعيد بن تغلب **(ت 141هـ)**، وقيل بل إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى **(ت 210هـ)** صاحب " مجاز القرآن" ثم توالت التصانيف تترى في سائر القرون الأخر، وكان أغناها تأليفا القرنان الثالث والرابع الهجريان.

---

1 - البرهان في علوم القرآن:173/2.

2 - البرهان في علوم القرآن:292/1.

3 - ذكر الأستاذ محمد صبحي بن حسن حلاق في مقدمة تحقيقه لكتاب " تفسير غريب القرآن" للصنعاني" من ص 8 إلى 29 ما يزيد عن المائة والثمانين مؤلفا في هذا الفن، منها مائة وعشرة معروفة النسبة لمؤلفيها، وما فوق ذلك ذكرها العلماء في ثنايا كتبهم لكن نسبتها إلى أصحابها غير موثوقة.

4 - "كتب غريب القرآن الكريم"، محمد حسين نصار:3

ومن العلماء من يصطلح على هذا العلم **"غريب القرآن"** وهو الغالب الأكثر الذي توطأ عليه الجم الغفير منهم، ومنهم من يصطلح عليه " معاني القرآن"[1]، ومنهم من يصطلح عليه "مجاز القرآن"[2]، وكلها أسماء لمسمى واحد.[3]

وقد سلك العلماء في تصانيفهم الغزيرة تلك في علم غريب القرآن منهجين كبيرين، نبينهما مع ذكر أشهر المصنفات في كل منهج، ونسوق أمثلة ونماذج من بيان غريب القرآن من كل منهج:

– **المنهج الأول: ترتيب الألفاظ القرآنية الغريبة على وفق ترتيب السور**، فتجد المفردات القرآنية الغريبة تتوالى بتوالي ذكرها في السور حسب ترتيبها في المصحف الفاتحة والبقرة وآل عمران ...إلى الناس، وقد سلك هذا المنهج طائفة من كبار العلماء، وهو أشهر المنهجيْن في التأليف في هذا العلم.

1- أشهر المصنفات في غريب القرآن المرتبة على ترتيب السور.

- **"غريب القرآن "** لأبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي **(ت 202هـ)**
- **"مجاز القرآن"** لأبي عبيدة معمر بن المثنى **(ت 210 هـ)**
- **"تفسير غريب القرآن"** لابن قتيبة الدينوري **(ت276هـ)**، وله كذلك **" المسائل في معاني غريب القرآن والحديث"**، مما لم يقع في كتاب الغريب. وقد بدأ مصنفه المرتب على السور ببيان أسماء الله الحسنى التي ترددت في القرآن، ثم شرع بعد ذلك في بيان الغريب من سورة الحمد تليها البقرة وهكذا.
- **"تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم"** لمكي بن أبي طالب **(ت437 هـ)** وله كذلك **"العمدة في غريب القرآن"** غير أن من العلماء من يشكك في نسبته إليه.

1 - كما هو الشأن بالنسبة لقطرب بن محمد المستنير **(ت206هـ)**، وكذلك للأخفش **(ت2015هـ)** فلكل منهما كتاب بعنوان: "معاني القرآن"،

2 - كما هو الشأن بالنسبة لأبي عبيدة معمر بن المثنى **(ت 210هـ)** في "مجاز القرآن"

3 - محمد صبحي بن حسن حلاق من مقدمة تحقيقه لكتاب " تفسير غريب القرآن" للصنعاني": 7.

- **"التبيان في تفسير غريب القرآن"** لشهاب الدين أحمد بن محمد بن الهائم المصري **(ت815 هـ)** أعاد فيه ترتيب " نزهة القلوب" لأبي بكر السجستاني على ترتيب السور، بعدما كان مرتبا على حروف المعجم، وضمنه زيادات نفيسة رمز إليها بحرف "ز".

- **"بهجة الأريب بما في الكتاب العزيز من الغريب"** للتركماني **(ت750 هـ).**

2- نماذج من بيان الغريب في بعض المصنفات على هذا المنهج المرتب على ترتيب السور:

فمن كتاب غريب القرآن لابن قتيبة قال:

سورة الحمد:

-"بسم الله" اختصار كأنه قال: أبدأ باسم الله. أو بدأت باسم الله.

-"العالَمون" أصناف الخلق الرّوحانيّين، وهم الإنس والجن والملائكة، كلّ صنف منهم عالم(...).

- ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾[1]: الطريق"[2]. (...)

سورة البقرة:

- ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِۛ ﴾[3] لا شكَّ فيه.

- ﴿ هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[4] أي: رُشدًا لهم إلى الحق.

- ﴿ ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[5] أي: يصدِّقون بإخبار الله - عز وجل - عن الجنة والنار، والحساب والقيامة، وأشباهِ ذلك.

- ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1] أي: يُزَكُّونَ ويتصدقون." [2]

1 - الفاتحة:05

2 - غريب القرآن لابن قتيبة:37.

3 - البقرة:01.

4 - البقرة:01.

5 - البقرة:02.

- **المنهج الثاني: ترتيب مصنفات هذا العلم على حروف المعجم**، مع تعدد الطرق في هذا بين من يرتبها على أصل الاشتقاق، وبين من يرتب الكلمات بحسب حروفها من غير رجوع بها إلى أصل الاشتقاق.

1- أشهر المصنفات في غريب القرآن المرتبة على حروف المعجم.

- **غريب القرآن المسمى " نزهة القلوب"** لأبي بكر السجستاني **(ت330هـ)**، وهو من بين، أشهر المصنفات التي أفاد منها العلماء، وقد مكث في تصنيفه خمس عشرة سنة، ثم عرضه على شيخه أبي بكر الأنباري. وترتيبه كان على حروف المعجم، لكن مع الاحتفاظ بالكلمة كما جاءت في القرآن من غير رجوع بها إلى أصل الاشتقاق.

- **"الغريبيْن"** (غريب القرآن وغريب الحديث)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الهروي **(ت401هـ)**، وقد عمد إلى ترتيب الألفاظ على أصل جذرها اللغوي.

- **" المفردات في غريب القرآن"** للراغب الأصفهاني **(ت 502هـ)**، وهو من أشهرها وأحسنها[3] وأكثرها استيعابا. وقد رتبه على أصول الكلمات وجذورها الأولى دون اعتبار الزوائد.

- **" تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب"** لأبي حيان الأندلسي **(ت745هـ)** صاحب تفسير " البحر المحيط".

- **" عمدة الحفاظ"** للسَّمين الحلبي **(ت756هـ)**، وقد أفاد فيه كثيرا من مفردات الراغب الأصفهاني وزاد عليها فكان كتابه مستوعبا.

- **"تفسير غريب القرآن"** للإمام الصنعاني (ت**1182هـ)**، صاحب "سبل السلام".

2- نماذج من بيان الغريب في بعض المصنفات على هذا المنهج المرتب على حروف المعجم:

فمن كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني قال:

" كتاب الألِف:

1 - البقرة:02.
2 - غريب القرآن لابن قتيبة:38.
3 - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:138.

أبا: الأب: الوالد، ويسمى كل من كان سببا في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أبا، ولذلك يسمى النبي صلى الله عليه وسلم أبا المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾[1] وفي بعض القراءات: وهو أب لهم (...)

أبد: قال تعالى:﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾[2] الأبد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان، وذلك أنه يقال: زمان كذا، ولا يقال أبد كذا(...).

أبق: قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾[3] يقال: أبق العبد يأبق إباقا وأبق يأبق إذا هرب ، وعبد آبق وجمعه أباق، وتأبق الرجل تشبه به في الاستتار"[4].

كتاب الباء

بتك: البتك يقارب البت لكن البتك يستعمل في قطع الاعضاء والشعر، يقال بتك شعره وأذنه، قال الله تعالى ﴿ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ [5] ومنه سيف باتك: قاطع للأعضاء. (...)

بجس: يقال بجس الماء وانبجس انفجر، لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع، ولذلك قال عز وجل: ﴿ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾[6] وقال في موضع آخر: ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾[7] فاستعمل حيث ضاق المخرج اللفظان، قال تعالى: ﴿وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴾ [8] وقال: ﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا ﴾[9] ولم يقل بجسنا.

---

1 - الأحزاب:06.
2 - التنساء:150.
3 - الصافت:140.
4 - المفردات في غريب القرآن: 7-8.
5 - النساء:118.
6 - الأعراف:160.
7 - البقرة:59.
8 - الكهف:33
9 - القمر:12.

بحث: البحث الكشف والطلب، يقال بحثت عن الامر وبحثت كذا، قال الله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي ٱلأَرْضِ﴾[1] وقيل: بحثت الناقة الأرض برجلها في السير إذا شددت الوطء تشبيها بذلك[2]. (...).

1 - المائدة: 33.
2 - المفردات في غريب القرآن:36- 37.

علم المناسبة.

تمهيد.

من وجوه عناية العلماء بكلام الله تعالى في كتابه المبين، عنايتهم بتناسق معانيه فيما بين آياته وسوره، وقد حظي هذا المبحث باهتمام العلماء قديما وحديثا، فاجتهدوا في إظهار وجوه الارتباط بين معاني الآيات، على نحو يتحقق به التأكيد على معان بذاتها وإقرارها أكثر بما يُظهره العلماء من تمام المناسبة بين آية وأختها.

ولم يكن هذا العلم محط إجماع بين العلماء، لعدم انضباط مسالكه، ويُنسب للإمام أبي بكر النيسابوري (ت324هـ) إظهار هذا العلم والاشتغال به في مجالس تفسيره، وقد نقل الزركشي عن الشيخ أبي الحسن الشهراباني قوله: "أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لِمَ جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة".[1]

أولا- التعريف بعلم المناسبة، أهميته، شروطه، أشهر المصنفات فيه.

1- التعريف بعلم المناسبة.

المناسبة لغة المقاربة والمشاكلة، قال الزبيدي في تاج العروس:" المناسبة: المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل"[2] واصطلاحا "علم يُعرف منه وجوه الارتباط المختلفة بين الآيات بعضها ببعض، أو بين السور بعضها ببعض"، وقد عُرّف أيضا بأنه" علمٌ يبْحَث فِي الْمعَانِي الرابطة بَين الْآيَات بَعْضهَا بِبَعْض، وَبَين السُّور بَعْضهَا بِبَعْض، حَتَّى تُعرف عللُ تَرْتِيب أَجزَاء الْقُرْآن الْكَرِيم." [3] فعن النوع الأول – تناسب الآيات- قال السيوطي:" ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع

1 - البرهان في علوم القرآن: 36/1، وينظر كذلك "معترك الأقران في إعجاز القرآن" للسيوطي: 43/1-44.
2 - تاج العروس مادة"نسب":92/5.
3 - مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء:18.

العلاقات أو التلازم الذهني؛ كالسبب أو المسبب، والعلة والمعلول والنظيرين ونحوه".[1] ويعرفه العلامة برهان الدين البقاعي بقوله:" علم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال"[2]

فموضوع علم المناسبة إذًا هو آياتُ القرآن وسورُه من حيث ما بينها من التناسق والتوافق والارتباط في المعنى، حتى يكون الكلام في ذهن السامع أو القارئ له كالبنيان المرصوص المتناسق يشد بعضه بعضا.

2- أهمية علم المناسبة.

تتجلى أهمية هذا العلم في كونه يُظهر ما بين الآيات والسور من التناسق والارتباط، وهو ما نبّه عليه القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين حيث نصّ على أن من فوائده؛ "إظهار ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة؛ متسقة المعاني منتظمة المباني"، وقال الزركشي رحمه الله:" وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المُحكَم المتلائم الأجزاء"[3].

وغير خاف أن إظهار التناسب ليس أمرا توقيفيا بل هو من اجتهاد المفسِّر لكلام الله تعالى، حيث يتبلغ بما حاز من أدوات البيان والبلاغة وسائر وجوه الإعجاز لإثبات بعض وجوه التناسب بين الآيات أو السور.

3- شروط قبول المناسبة.

لما كان علم المناسبة في القرآن الكريم علما اجتهاديا متوقفا على تذوق المفسر للمعاني، وانتباهه لما بينها من العلائق، مع مراعاة مقتضيات البيان؛ كان ذلك مشروطا في قبوله من العلماء بشروط وضوابط، أهمها ألا يعتسف المفسر في إظهار المناسبة بين آيتين أو سورتين، ويتكلف لذلك فوق ما يقتضيه مقام البيان، فقد قال العز بن عبد السلام رحمه الله:" المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة

1 - الإتقان في علوم القرآن:383.

2 - مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِوَرِ ويُسمّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى" للإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ):142/1.

3 - البرهان في علوم القرآن:373/3.

لم يُشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر"[1] وقال في موضع آخر :" ومَن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يُصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة و متخالفة ومتضادة، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها".[2] فكان لابد من وقوع المناسبة على هذا الانتظام صونا لمعاني القرآن عن كل تكلف في بيانها. ولعل دقة هذه الشروط ووقوع هذا العلم تحت طائلة اجتهاد المفسرين في بيانه؛ هو ما يفسر قلة إقبال العلماء عليه – على جلالة قدره - كما هو الشأن في فنون أخرى متعلقة ببيان كلام الله تعالى، قال السيوطي رحمه الله:" وعلم المناسبة علم شريف قَلَّ اعتناء المفسرين به لدقته".[3] ومن نافلة القول: إن بعض الآيات لم يَظهر للعلماء فيها وجه التناسب، قال السيوطي رحمه الله: "من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها من ذلك قوله تعالى في سورة القيامة:﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾[4] فإن وجه مناسبتها لأول السورة وآخرها عَسِرٌ جدا"[5].

4- أشهر المصنفات في علم المناسبة.

سلف البيان أن أول من اشتغل بهذا العلم وأظهره الإمام أبو بكر النيسابوري **(ت 324هـ)** الذي تبحر في علوم اللغة والشريعة، حيث لفت الانتباه إليه في حلقات درسه من علم التفسير، وكان يعيب على العلماء ترك الاهتمام به، " وكان يقول على الكرسي إذا قُرئ عليه الآية لِمَ جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"[6] ثم انتقل هذا العلم ليُنْثَر في ثنايا كتب التفسير؛ فكان الإمام الرازي **(ت606هـ)** رحمه الله من المكثرين في التنبيه عليه في تفسيره **"مفاتيح الغيب"**. ليستقل هذا العلم في أول

1 - معترك الأقران في إعجاز القرآن: 43/1.
2 - معترك الأقران في إعجاز القرآن: 43/1.
3 - الإتقان في علوم القرآن:382.
4 - القيامة:16.
5 - الإتقان: 385.
6 - البرهان في علوم القرآن:/36.

مصنَّف مع الإمام الحافظ أبي جعفر بن الزبير الأندلسي الغرناطي **(ت 708هـ)**، وذلك في كتاب سماه **"البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"**، ثم جاء بعد ذلك الإمام بُرهان الدين إبراهيم بن عمر البِقاعي **(ت 885هـ)**، فأفرده بكتابين كبيرين، أعظمهما: **"نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور"**، والثاني: **"مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"**، والكتابان من أهم ما أُلِّف في هذا الفن، وللإمام السيوطي **(ت911هـ).** كتابان فيه كذلك؛ الأول كتاب" **أسرار التنزيل"** وقد تضمن ذكر المناسبات بين الآي والسور، ليختصر منه كتابا آخر سماه" **تناسق الدرر في تناسب السور"** وهو خاص بما بين السور من التناسب.

ثانيا- أنواع المناسبات في القرآن الكريم.

1- المناسبات بين الآيات من السورة الواحدة.

عمد العلماء المشتغلون بهذا العلم الدقيق إلى إظهار ما بين الآيات في السورة الواحدة من التناسب والاتساق الذي يؤسس لمعان تتوارد الألفاظ على إقرارها، منها تمثيلا لا حصرا:

-**المناسبة بين الآيات التي فيها المقابلة بين أحوال** المؤمنين وصفاتهم وأحوال المشركين أو المنافقين وصفاتهم إن في الدنيا أو في الآخرة، أو المقابلة بين الوعد والوعيد، أو ذكر آيات الرحمة بعد آيات العذاب، وآيات الترغيب بعد الترهيب، وآيات التوحيد والتنزيه بعد الآيات الكونية.... وهكذا.

-**ومن المناسبة كذلك ما جرت عليه "عادة القرآن** [أنه] إذا ذَكر الكتابَ المشتملَ على عمل العبد حيث يُعرض يوم القيامة، أردفه بذكر الكتاب المشتمِل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً كما قال في الكهف ﴿ **وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ** "[1] إلى أن قال "**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ** ﴾[2]، وقال في "سبحان" [الإسراء]

1 - الكهف:48.
2 - الكهف:53.

﴿فَمَنْ اوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ "[1] إلى أن قال "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾"[2] [3].

ومن المناسبة ما يكون من مراعاة حال المخاطبين، فيخاطبون على قدر ما تدركه عقولهم ويفهمون، كقوله تعالى في سورة الغاشية:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[4]؛ "فإنه يُقال ما وجه الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض في هذه الآية؟ والجواب أنه جمع بينها على مجرى الإلف والعادة بالنسبة إلى أهل الوَبَر، فإن كل انتفاعهم في معايشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفة إليها، ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر، وهو سبب تقلب وجوههم في السماء، ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم وحصن يتحصنون به، ولا شيء في ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم لتعذر طول مكثهم في منزل عن التنقل من أرض إلى سواها، فإذا نَظر البدويُّ في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور"[5].

-ومنها المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، وقد أفرد الإمام السيوطي له جزءا لطيفا سماه" مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع" ومثاله ما في:" سورة القصص كيف بُدئت بأمر موسى ونصرته وقوله ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[6] وخروجه من وطنه، وخُتمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا يكون ظهيراً للكافرين"[7] في قوله:﴿ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾.[8]

1 - الإسراء:71.
2 - الإسراء:89.
3 - الإتقان في علوم القرآن:385.
4 - الغاشية: 17- 20.
5 - البرهان في علوم القرآن:45/1.
6 - القصص:16.
7 - الإتقان في علوم القرآن: 386.
8 - القصص:86.

والمناسبات بين آي السورة الواحد أكثر من أن تحصى في مثل هذا المقام وإنما القصد التمثيل.

2- المناسبات بين السور المختلفة.

كما تكون المناسبة بين آي السورة الواحدة فإن العلماء قد ذكروا وجوها مختلفة للمناسبة بين آي السور المختلفة، أو بين السور بعضها البعض وخاصة المتعاقبة منها، ومن هذه الوجوه:

- المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها؛ ومثاله :" مناسبة افتتاح سورة الحديد بالتسبيح في قوله تعالى:﴿ سَبَّح لِلهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] فإنه مناسب لختام سورة الواقعة التي ورد فيها الأمر به (التسبيح) في قوله تعالى:﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[2]

- المناسبة بين السور المتعاقبة: ومثاله التناسب بين سورتي "الفيل" و "قريش". فإن هلاك أصحاب الفيل كان سببا في تمكن قريش من رحلتيها شتاء وصيفا، حتى قال الأخفش :" اتصالها بها من باب :﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ ﴾[3][4]، وقال برهان الدين البقاعي مُظهرا ما بين السورتين من التناسب: "المقصود أن إهلاك الجاحدين المعاندين، لإصلاح المقربين العابدين"[5].

1 - الحديد:01.
2 - الواقعة:99.
3 - القصص:07.
4 - البرهان في علوم القرآن:38/1.
5 - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور :249/3.

الوجوه والنظائر

تمهيد.

من العلوم التي يَتبلغ بها المُفسِّر في سبيل بيانه لكلام الله جل وعلا في كتابه المبين؛ علم الوجوه والنظائر، فهو من العلوم التي لا غنى للمفسر عنها، لتوقف معرفة مراد الله على دلالة الألفاظ التي قد تختلف في معانيها رغم اتحاد مبانيها، فترى الكلمة الواحدة تطوف على معان مختلفة يُقصد منها واحد في سياق دون باقي المعاني الأخرى، وترى الكلمة تتصرف على وجه واحد في القرآن لا تعدوه، وترى الألفاظ المختلفة تتوارد على المعنى الواحد. وقد أولى العلماء لهذا العلم عناية بالغة حيث أفردوه بالتصانيف الكثيرة والتآليف الغزيرة من وقت مبكر من تاريخ الأمة ضبطا لوجوه تصريف معاني الألفاظ حسب السياق.

أولا – مفهوم الوجوه والنظائر والفرق بينهما، وبعض تطبيقاتهما.

1- مفهوم الوجوه.

الوجوه لغة جمع وجه، قال ابن فارس:" الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة شيء لشيء. والوجه مستقبِل لكل شيء. يقال وجه الرجل وغيره. وربما عبر عن الذات بالوجه. [و] تقول: وجهي إليك. (...) وواجهت فلانا: جعلت وجهي تلقاء وجهه".[1]

وأما في اصطلاح العلماء فقد عرفه الزركشي بقوله:" فالوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة"[2]، فالمراد بالوجوه بحسب التعريف أن اللفظ يستعمل في معان كثيرة يحدد السياق واحدا منها ، وليس المقصود بالاشتراك ههنا الاشتراك بالمعنى الأصولي الذي يكون فيه للفظ معنيان فأكثر بأصل وضعه اللغوي كلفظ القُرء الذي يفيد الحيض والطهر، فالاشتراك عند علماء الوجوه والنظائر غير هذا وأعم منه.

1 - مقاييس اللغة، كتاب الهاء، باب الواو والجيم وما يثلثهما، مادة " وجه":6/88-89.
2 - البرهان في علوم القرآن: 102/1. والإتقان للسيوطي:172.

ومثال اعتبار الوجوه عند العلماء لفظ "الأمة" الوارد في مواضع مختلفة من القرآن؛ فإنه يكون بمعنى:

الطائفة من الناس وهو غالب استعماله وأكثره، كما في قوله تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ "[1] وقوله: "وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾[2]...

وبمعنى المدة والحقبة من الزمن، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾.[3]

وبمعنى الإمام في الخير والصلاح (القدوة)، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[4].

وبمعنى الدِّين والمِلة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[5].[6]

ومن أمثلة الوجوه في القرآن لفظ "السوء" فإنه يأتي في القرآن على وجوه ومعاني منها:

معنى الشدة، كما في قوله تعالى:﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾[7]

وبمعنى العَقْر، كما في قوله تعالى:﴿ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾[8].

-وبمعنى الزنى، كما في قوله تعالى:﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءاً ﴾[9] وقوله: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ إِمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴾[1]

---

1 - آل عمران:104.
2 - القصص:22.
3 - يوسف:45.
4 - النحل:120
5 - الزخرف:22.
6 - تنظر هذه الوجوه بمجموعها في كتاب، الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري المعتزلي المتوفى (حوالي 395هـ) من ص 27 إلى ص 37.
7 - البقرة: 48.
8 - الأعراف:72.
9 - يوسف:25.

-وبمعنى البَرَص، كما في قوله تعالى:﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾[2].

-وبمعنى العذاب، كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَالسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3].

-وبمعنى معصية الشرك، كما في قوله تعالى:مَا﴿ كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾[4].

-وبمعنى الشتم، كما في قوله تعالى:﴿ لاَّ يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾[5].

-وبمعنى الذنب، كما في قوله تعالى:﴿ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾[6].

-وبمعنى بئس، كما في قوله تعالى:﴿ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[7].

-وبمعنى " الضُّر، كما في قوله تعالى:" أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[8].

-وبمعنى القتل والهزيمة، كما في قوله تعالى:﴿ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾[9]. [10]

فكل لفظ كان له أكثر من معنى في القرآن الكريم يُعيَّن بسياقه يقال: إن له وجوها في الاستعمال.

2- مفهوم النظائر.

النظائر لغة جمع نظيرة، وهي الشبيه والمماثل قال ابن منظور:" والنظير: المِثْل، وقيل: المثل في كل شيء. وفلان نظيرك أي مِثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء. والنظائر: جمع نظيرة،

---

1 - مريم:27.
2 - طه:21.
3 - النحل:27.
4 - النحل :28.
5 - النساء:147.
6 - النساء:17.
7 - الرعد:26.
8 - النمل:64..
9 - آل عمران:174.
10 - تنظر هذه الوجوه بمجموعها في كتاب، الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري المعتزلي المتوفى (حوالي 395هـ): 247-248.

وهي المِثل والشِّبْه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال. ويقال: لا تُناظِر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله، وفي رواية: ولا بسنة رسول الله؛ قال أبو عبيد: أراد لا تجعل شيئا نظيرا لكتاب الله ولا لكلام رسول الله فتدعهما وتأخذ به"[1].

أما النظائر في الاصطلاح ففي تعريف العلماء لها مذهبان:

الأول - ذكره الزركشي في قوله" وأما النظائر فالألفاظ المتواطئة". والمراد بالمتواطئة أن يكون للفظ المعنى الواحد، وهذا المعنى يصلح لأفراد كثيرين، فلفظ رجل معروف في معناه؛ لكنه يصلح لأكثر من فرد؛ يصلح لعمرو وزيد وخالد، والسياق هو الذي يعين واحدا منهم.

ومن أمثلته لفظ "**القرية**"؛ فقد تردد في القرآن عشرات المرات: فإن معناها واحد، لكن المراد منها مختلف: فالقرية المذكورة في قوله تعالى ﴿ وَاضْرِب لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾[2] فمعنى القرية لا خلاف فيه، لكن ما القرية المرادة في هذه الآية؟ المراد بها قرية أنطاكية. وفي قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾[3]، فالمراد قرية أريحا أو القدس، وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾[4] المراد هنا بالقرية مكة.

والثاني: ذهب بعض العلماء إلى أن المقصود بالنظائر هي الألفاظ المتعددة المترادفة على المعنى الواحد، مع تفرد كل لفظ بمعنى زائد عن سائر الألفاظ، وهو جار في كلام العرب؛ فالسيف له أسماء كثيرة كلها تدل عليه، لكن يُلحظ في كل لفظ معنى يختص به عن سائر مرادفاته، فيُلحظ في البتار قطع الأجزاء، وفي الصارم الحسم، وفي المهنّد مادتُه التي صنع منها[5]، وكذلك يُقال فيما تعددت أسماؤه عند العرب كالفرس والخمر... فالنظائر كما قال ابن الجوزي رحمه الله هي :" لفظ كل كلمة ذُكرت فِي مَوضِع نَظِير للفظ الْكَلِمَة الْمَذْكُورَة فِي الْموضع الآخر"[6] . فتكون النظائر هي الألفاظ

1 - لسان العرب، فصل النون، مادة " نظر": 5/ 219.
2 - يس: 12.
3 - البقرة:57.
4 - النساء:74.
5 - قد تخصصت في بيان هذه الفروق بين المترادفات معاجم الفروق كالذي ألفه أبو هلال العسكري رحمه الله وهو من علماء القرن الرابع توفي حوالي 395هـ، في كتابه الفروق اللغوية.
6 - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي:83.

المتقاربة المتواردة على معنى واحد، ولذلك قالوا: إن الوجوه خاصة بالمعاني، والنظائر خاصة بالألفاظ.

ومثاله في القرآن لفظ الخوف فهو معنى تواردت عليه ألفاظ ثلاثة هي الخوف والخشية والرهبة.

فأما الخوف فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُومَرُونَ ﴾[1].

والثاني الخشية في قوله تعالى: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾.[2]

وأما الرهبة فقد وردت في قوله تعالى ﴿ لِّلذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[3]

3- الفروق بين الوجوه والنظائر.

مما سبق يتضح أن الوجوه تتعلق باللفظ الواحد الذي له معان مختلفة حسب كل سياق. وأما النظائر: فبمعناها الأول فإنها تتعلق باللفظ المتّحد نُطقا ومعنى لكنه يصلح لأفراد كثر وإنما يتعين واحد منها بالسياق.

وأما على المعنى الثاني للنظائر؛ فإنها تتعلق بالألفاظ المترادفة لمعنى واحد، وعلى هذا الأساس قالوا إن الوجوه للمعاني، والنظائر للألفاظ، ومرادُهم أن الوجوه تتعدد معها المعاني للّفظ الواحد، والنظائر تتعدد معها الألفاظ للمعنى الواحد.

ثانيا- أشهر المؤلفات في علم الوجوه والنظائر

تعود جذور الاهتمام بهذا العلم إلى جيل الصحابة رضي الله عنهم، فمِمَّن عُرف به؛ ابن عباس رضي الله عنهما، ويُؤثَر عن أبي الدرداء قوله:" إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها". بينما يَنسُب العلماءُ أولَ مصنف في هذا الفن إلى بعض كبار مفسري التابعين كعكرمة **(ت 105هـ)** مولى ابن عباس، كما نسبوا كتابا آخر إلى علي بن طلحة **(ت 143هـ).** مولى ابن عباس. وممّن ألف فيه: مقاتل بن سليمان **(ت150هـ)** وسمى كتابه:" الوجوه والنظائر في القرآن الكريم"، وهو أول مصنف وصل إلينا. كما ألف فيه يحيى بن سلام **(ت200هـ)**كتابا وسمه ب: "التصاريف" وألف

1 - النحل:50.
2 - الرعد:23..
3 - الأعراف:154.

الحكيم الترمذي **(ت 255هـ)** كتابه : "تحصيل نظائر القرآن " ، وألف محمد بن يزيد أبو عباس المبرد **(ت 286هـ)** كتابا بعنوان : "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد" ، وفي القرن الرابع ألّف فيه أبو هلال العسكري **(ت. حوالي395هـ)** كتابه "الوجوه والنظائر" وكتب فيه ابن فارس **(ت395هـ)** كتابا صغير الحجم سماه" الأفراد" وفي القرن الخامس ألف الحسين الدمغاني **(ت 478هـ)** كتابه "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم " ، وألف أبو منصور الثعالبي**(ت 429هـ)** كتاب: "الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها" وفي القرن السادس ألف ابن الجوزي **(ت 597هـ)** كتاباً وسمه ب : "نُزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم"، وفي القرن السابع ألف أبو العباس أحمد بن علي المقرئ **(ت 658هـ)** كتابه "وجوه القرآن"، وفي القرن التاسع ألف أبو العماد المصري **(ت 887هـ)** كتابه :"كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر "، وفي القرن العاشر جاء الإمام السيوطي **(ت911 هـ)** فألف كتابه : "معترك الأقران في مشترك القرآن ".

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرست الموضوعات

تقديم. 1

المحكم والمتشابه 2

تمهيد 2

أولا – الإحكام العام والتشابه العام في القرآن الكريم. 2

1- مفهوم الإحكام العام في القرآن الكريم. 2

1-1 الإحكام لغة. 2

1-2- معنى الإحكام العام للقرآن في الاصطلاح 3

2- مفهوم التشابه العام في القرآن الكريم. 3

2-1 – التشابه لغة: 3

2-2. معنى التشابه العام في القرآن الكريم 3

ثانيا- الإحكام الخاص والتشابه الخاص عند العلماء. 4

-1مفهوما المحكم والمتشابه عند العلماء 4

-2بعض أمثلة المحكم والمتشابه في القرآن الكريم 5

ثالثا- منشأ الاختلاف في معرفة المتشابه في القرآن الكريم. 6

رابعا - أنواع المتشابه في القرآن الكريم، وأسباب وقوعه، ومنهج العلماء في تأويل متشابه الصفات. 8

1-أنواع المتشابه في القرآن الكريم 8

-2أسباب وقوع التشابه في القرآن الكريم. 9

3-**مذاهب العلماء في تأويل الآيات المتشابهات الواردة في الصفات.** 9

خامسا – الحكمة من ذكر المتشابه في القرآن الكريم. 10

1-بعض الحكم من ذكر المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه 10

الناسخ والمنسوخ 11

تمهيد 11

أولا - النسخ: مفهومه، مجاله، شروطه، أدلته، أهميته، الحكمة من وقوعه. 12

1-مفهوم النسخ..... 12

1-1النسخ لغة: 12

1-2- النسخ اصطلاحا 12

ومما يستلزمه هذا التعريف: 12

2-مجال النسخ في الشريعة الإسلامية. 13

-3شروط النسخ 13

4-أدلة ثبوت النسخ، وأهم المذاهب فيه. 13

5-أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ. 16

-6الحكمة من وقوع النسخ في الشريعة. 17

ثانيا: أنواع النسخ وأقسامه في الوحي. 17

-1أنواع النسخ الوارد في القرآن الكريم. 17

- نسخ التلاوة والحكم معا 17
- نسخ الحكم وبقاء التلاوة 18
- نسخ التلاوة مع بقاء الحكم 18

-2أقسام النسخ في الوحي باعتبار مصدره. 19

2-1نسخ القرآن بالقرآن 19

2-2 نسخ القرآن بالسنة 19

-3-2.نسخ السنة بالقرآن..... 19
4-2 نسخ السنة بالسنة..... 19
3-أقسام النسخ باعتبار البدل وغيره. 19
أ- النسخ إلى غير بدل..... 20
ب - النسخ إلى بدل..... 20
إعجاز القرآن..... 22
تمهيد 22
أولا- حقيقة الإعجاز في القرآن الكريم، وورود التحدي به، والقدر المعجز منه. 24
1-مفهوم الإعجاز في القرآن الكريم. 24
1-1-الإعجاز في اللغة..... 24
1-2-الإعجاز في الاصطلاح..... 24
2-ورود التحدي بهذا القرآن..... 25
القدر المعجز من القرآن. 27
ثانيا- أنواع الإعجاز في القرآن الكريم. 28
1-الإعجاز اللغوي البياني..... 30
2-الإعجاز التشريعي..... 32
3-الإعجاز الغيبي..... 33
4-الإعجاز العلميّ..... 34
غريب القرآن..... 36
تمهيد 36
أولا – مفهوم غريب القرآن الكريم، صلته بعلم التفسير، أهمية العلم به. 36
-1مفهوم علم غريب القرآن الكريم..... 36
أ - الغريب في اللغة..... 36
ب -علم غريب القرآن في الاصطلاح. 36
2-صلة علم غريب القرآن بعلم التفسير..... 37
3-أهمية علم غريب القرآن..... 38
ثانيا – أشهر المصنفات في علم غريب القرآن، ومناهج العلماء في تصنيفها. 38
– المنهج الأول: ترتيب الألفاظ القرآنية الغريبة على وفق ترتيب السور 39
1-أشهر المصنفات في غريب القرآن المرتبة على ترتيب السور..... 39
2-نماذج من بيان الغريب في بعض المصنفات على هذا المنهج المرتب على ترتيب السور: 40
-المنهج الثاني: ترتيب مصنفات هذا العلم على حروف المعجم، 41
1-أشهر المصنفات في غريب القرآن المرتبة على حروف المعجم..... 41
2-نماذج من بيان الغريب في بعض المصنفات على هذا المنهج المرتب على حروف المعجم: 41
علم المناسبة..... 44
تمهيد. 44
أولا- التعريف بعلم المناسبة، أهميته، شروطه، أشهر المصنفات فيه. 44
1-التعريف بعلم المناسبة..... .44
2-أهمية علم المناسبة..... 45
3-شروط قبول المناسبة..... 45
4-أشهر المصنفات في علم المناسبة. 46
ثانيا- أنواع المناسبات في القرآن الكريم. 47
-1المناسبات بين الآيات من السورة الواحدة..... 47
-2المناسبات بين السور المختلفة..... 49
الوجوه والنظائر..... 50
تمهيد. 50
أولا – مفهوم الوجوه والنظائر والفرق بينهما، وبعض تطبيقاتهما. 50

1-مفهوم الوجوه..... 50
2-مفهوم النظائر..... 52
ثانيا- أشهر المؤلفات في علم الوجوه والنظائر..... 54